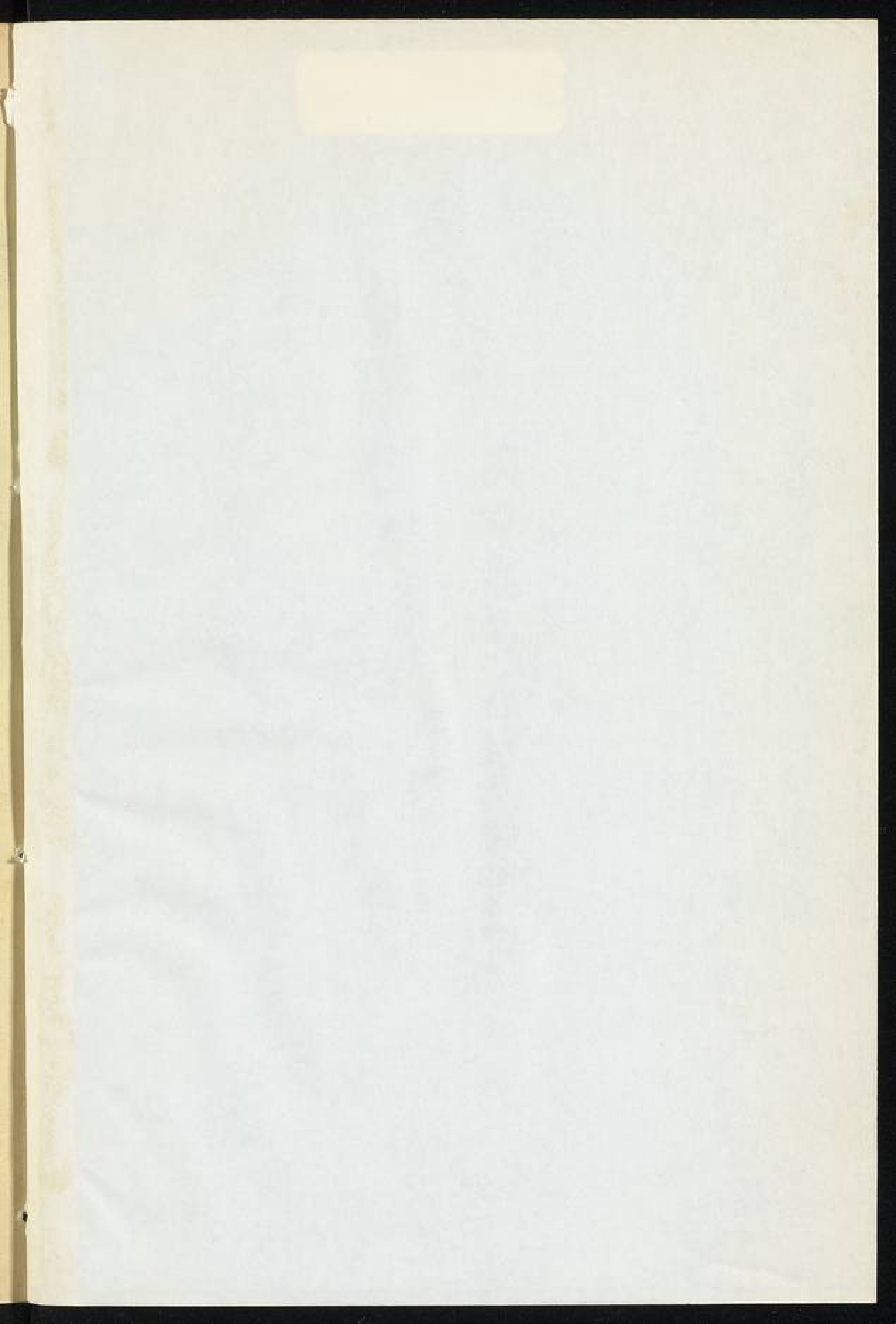
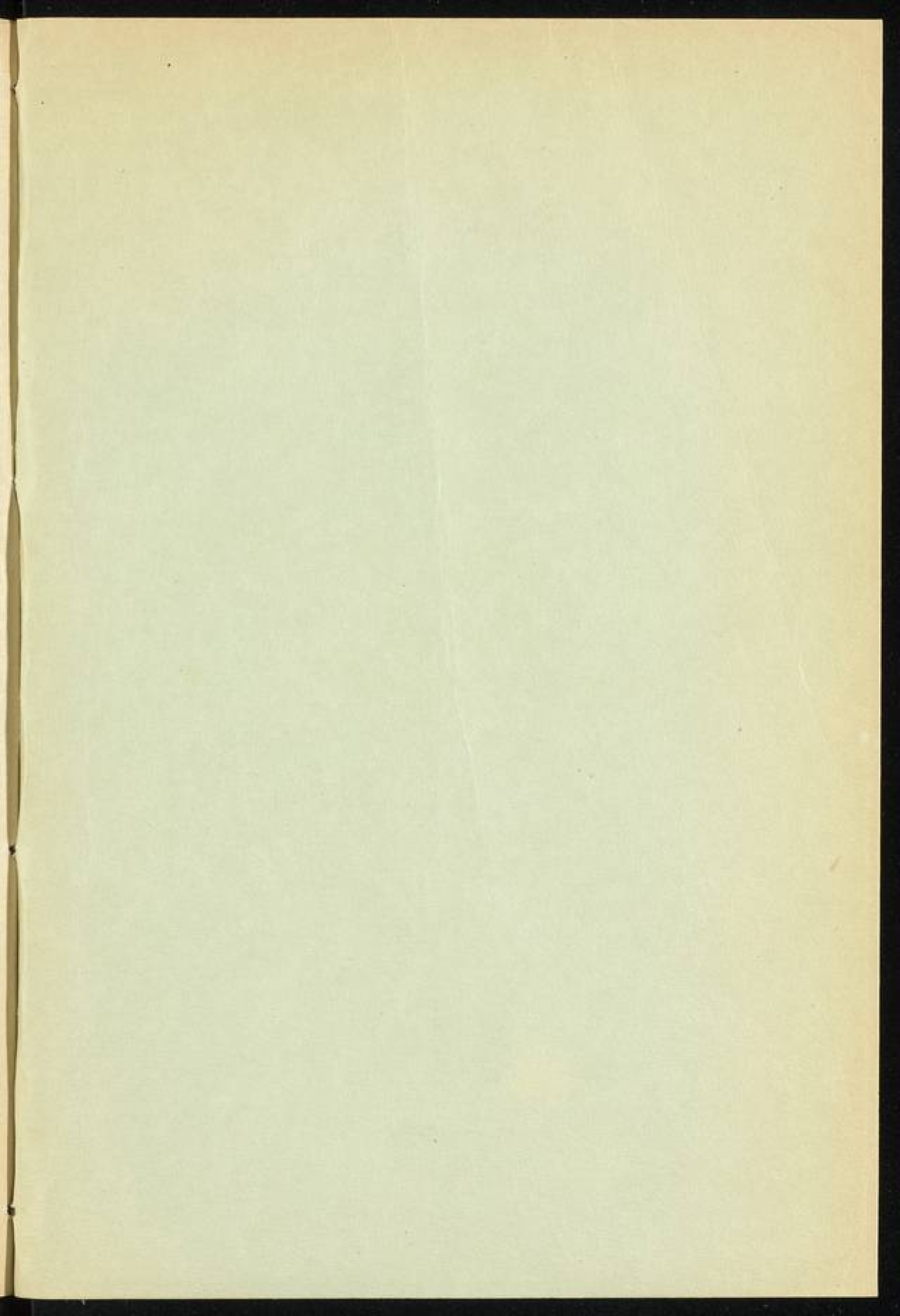

Princeton University Library
32101 073552521

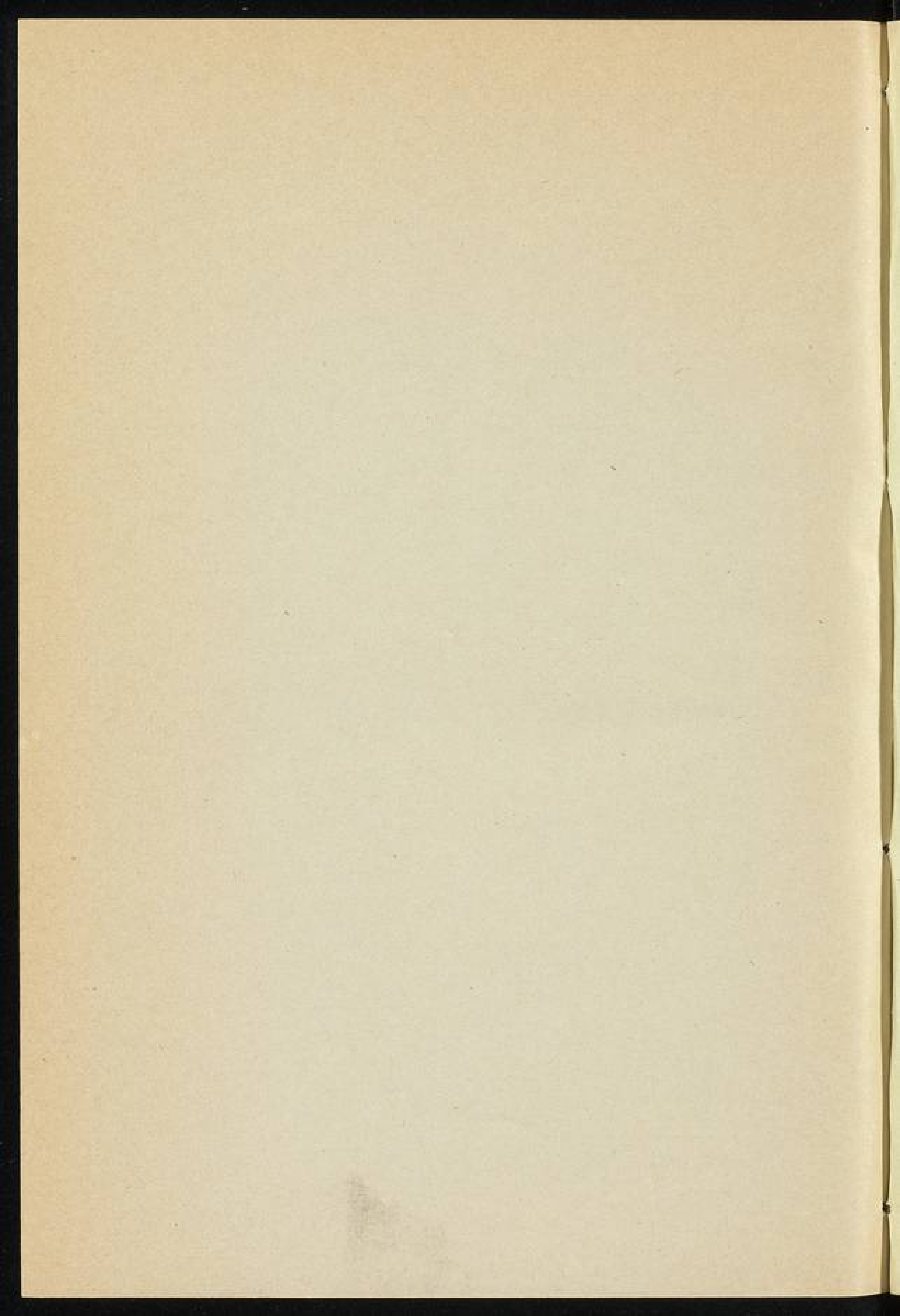


الدكتور نقولا فيّاض



بيروت
١٩٥٠





الدكتور نقولا فيّاض

الى الشاعر احمد زكي ابو شادي
مع محبة [illegible]
١٩٥١
نقولا فياض

رفيف الأقحوان

بعيشك هل ضمّتْ اليك ليلى ... قُبيل الصبح او قبّلت فاها
وهل رفّت عليك فروعُ ليلى ... رفيفَ الاقحوانة في مداها

مجنون ليلى

كتب للمؤلف

خواطر في الصحة والادب

الخداع والحب

حول سرير الامبراطور

مملكة الظلام

الخطابة

على المنبر ج ١

كيف تغلب الانسان على الألم

رفيف الاقحوان

تحت الطبع

الاحياء والاشياء

من نافذة الطب العقلي

دنيا واديان

على المنبر ج ٢

قصص وغصص

الحب الحجري

الرمزية والشعر الرمزي

تقدمة الكتاب

الى روح معلمي المرحوم نعمة يافث

الذي قاد خطواتي الاولى في حياة الفكر والعمل وكان له اول الناشدي

نقولا فياض

« يا صفَّنا فيها أنيسُك وَحشةٌ ذهبتْ بكلِّ من أُهيلك مذهبا

هي « نعمةٌ » كانت لنا فيما مضى فقضى عليها الدهرُ أن تتغرّبا »

(من شعر الصبا)

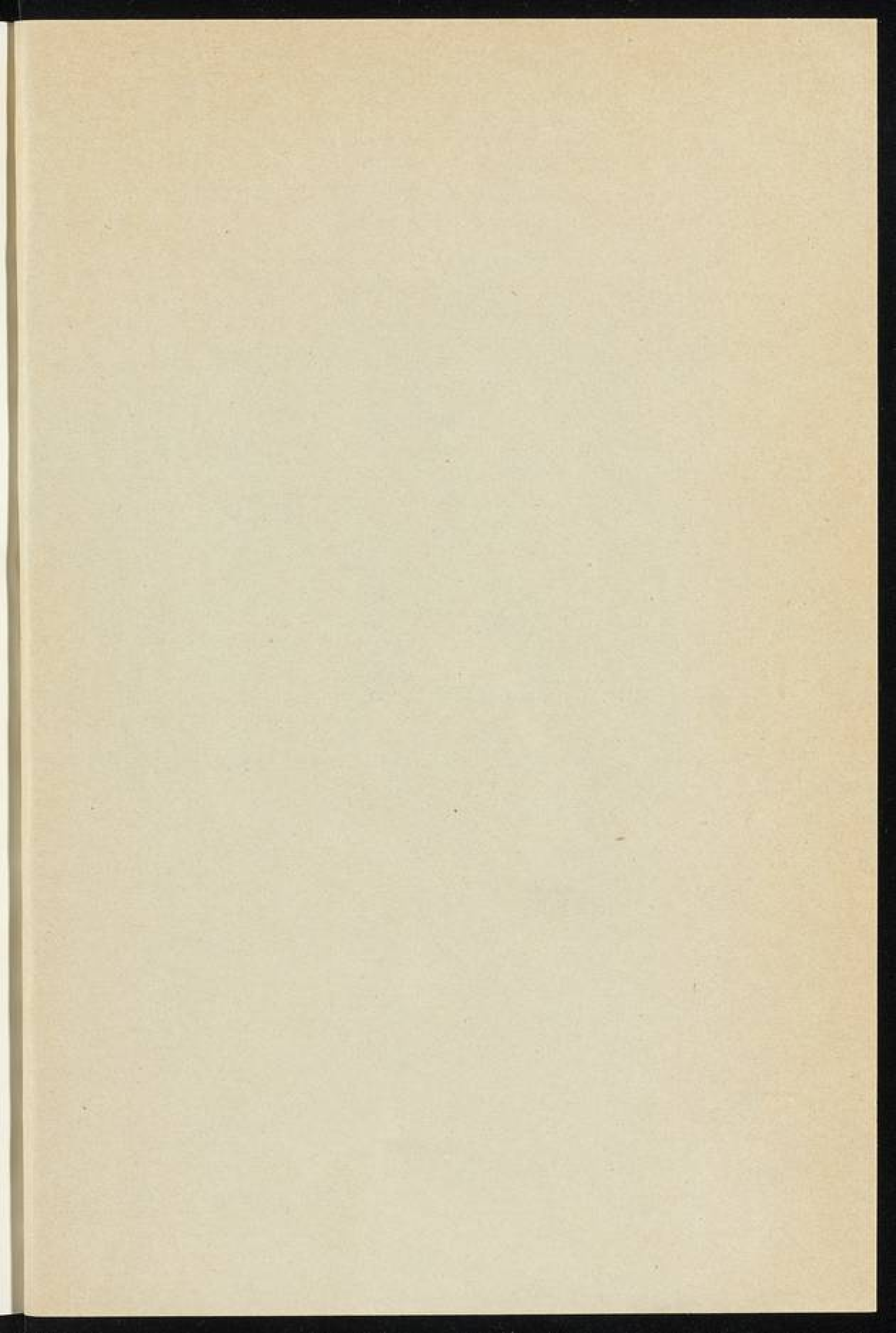
طُبع من هذا الكتاب ١٩٠٠ نسخة على ورق ممتاز
و ١٠٠ نسخة على ورق ڤيلان ٨٠ غراماً ، مرقومة من ١ الى ١٠٠
و١٥ نسخة على ورق ڤيلان ١٢٠ غراماً ، مرقومة بالرومانية من I الى XV
مع صورة المؤلف وتوقيعه

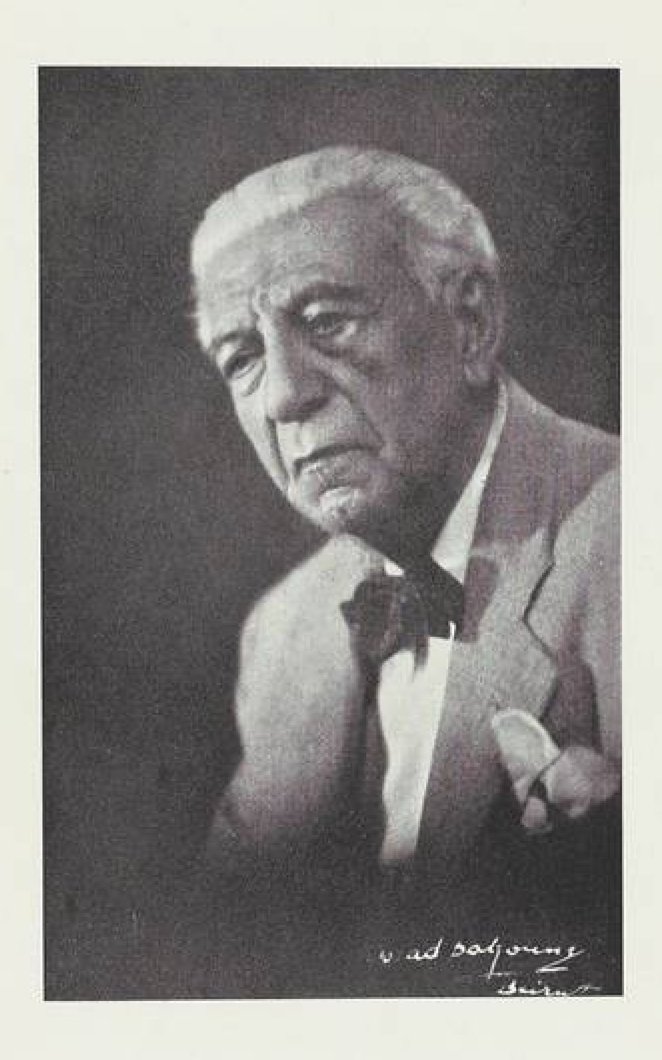
الى القارىء

ما سكبتُ الجديدَ صِرْفاً بكأسي   لا ولا ذبتُ في القديم احْتراقا

إنما وحشةُ الحياةِ تمادت   بي فصاحبتُ هذهِ الاوراقا

شاعرٌ لم يرَ الشبابَ سوى   حُلم ، فلماَّ مضى الشَّبابُ أفاقا

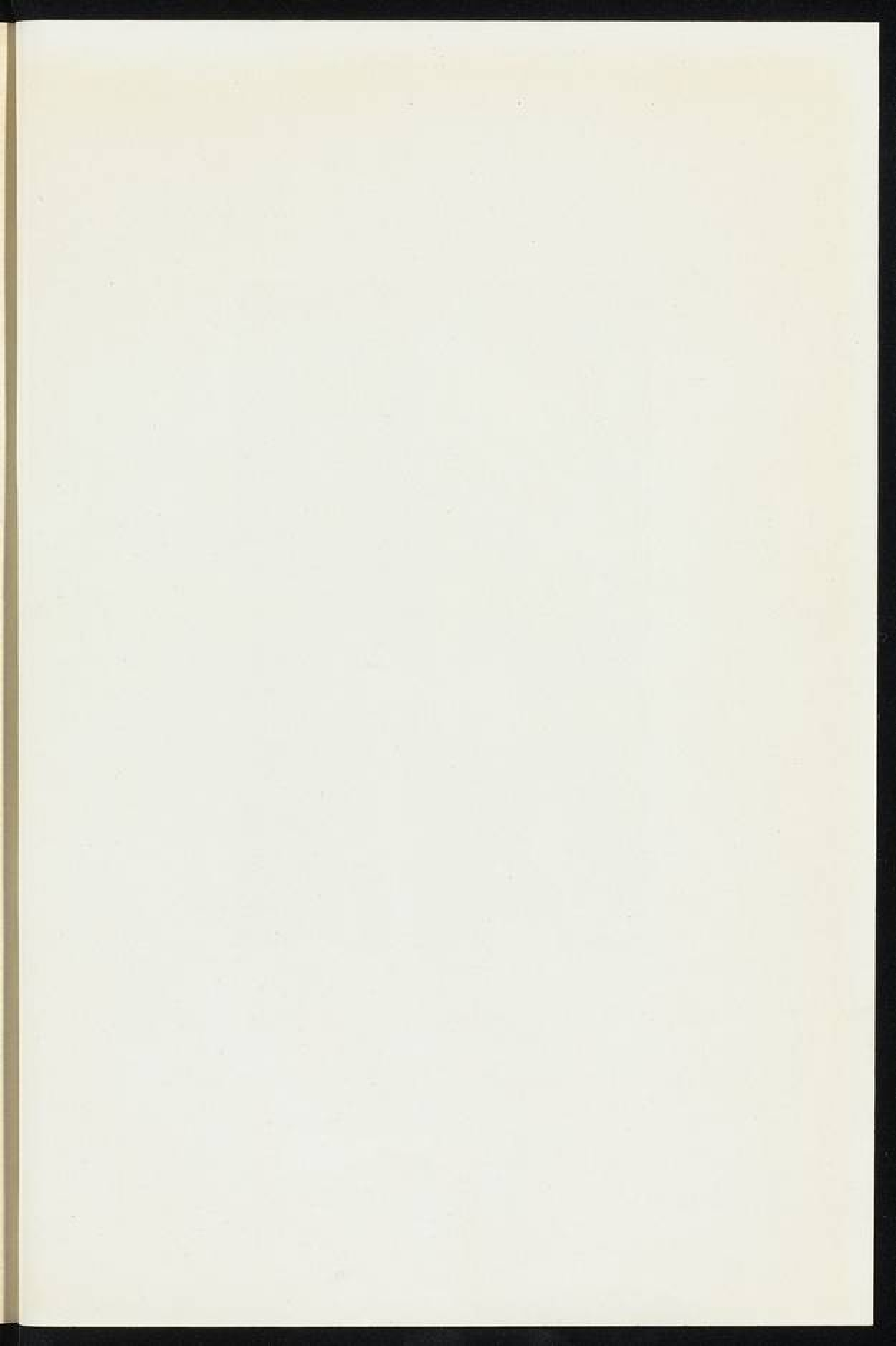




الدكتور نقولا فياض

في الخامسة والسبعين

١٩٤٩



البحيرة

(مترجمة عن لامارتين)

أهكذا ابداً تمضي امانينا ‏ نطوي الحياةَ وليلُ الموتِ يطوينا

تجري بنا سُفنُ الاعمارِ ماخرةً ‏ بحرَ الوجودِ ولا نُلقي مَراسينا ؟

بُحيرةَ الحبِّ حيّاكِ الحيا فلكمْ ‏ كانت مياهُكِ بالنجوى تُحيينا

قد كنتُ أرجو ختامَ العامِ يجمعُنا ‏ واليومَ للدهرِ لا يُرجى تلاقينا

فجئتُ أجلسُ وَحدي حيثما أخذتْ ‏ عني الحبيبةُ آيَ الحبِّ تَلقينا

هذا أنينُكِ ما بدّلتِ نغمتَه ‏ وطالَ ما حُملت فيه أغانينا

وفوقَ شاطئكِ الامواجُ ما برحت ‏ تُلاطمُ الصَخرَ حيناً والهوا حينا

وتحت اقدامِها يا طالَ ما طرحت ‏ من رغوةِ الماءِ كفُّ الريحِ تأمينا

هل تذكرينَ مساءً فوقَ مائكِ إذْ ‏ يَجري ونحنُ سكوتٌ في تصابينا

والبرُّ والبحرُ والافلاكُ مُصغيةٌ ‏ مَعنا فلا شيءَ يُلهيها ويُلهينا

إلا المجاذيفُ بالامواجِ ضاربةً ‏ يخالُ إيقاعَها العشاقُ تلحينا

إذا برنةِ أنغامٍ سُحرتُ بها ‏ فخلتُ أنَّ الملا الاعلى يناجينا

والموجُ أصغى لِمنْ أهوى، وقد تركتْ ‏ بهذه الكلماتِ الموجَ مفتونا :

يا دهرُ قفْ، فحرامٌ ان تطيرَ بنا   من قبلِ أنْ نتملّى مِن امانينا
ويازمانَ الصِبا دعنا على مَهلٍ   نلتذُّ بالحبِّ في أحلى ليالينا
أجبْ دُعاءَ بني البؤسى بأرضك ذي   وَطِرْ بهمْ فهمُ في العيش يشقونا
خذِ الشقيَّ وخُذْ معه تعاستَه   وخلِّنا فهناءُ الحبِّ يكفينا .
هيهاتِ هيهاتِ أنَّ الدهرَ يسمعُ لي   فالوقتُ يَفلتُ والساعاتُ تُفنينا
اقولُ للَّيلِ قفْ، والفجرُ يطردُهُ   ممزِّقًا منه سِترًا بات يخفينا
فلنغنمِ الحبَّ ما دام الزمانُ بنا   يجري، ولا وقفةٌ فيه تعزّينا
ما دامَ في البؤسِ والنُعمى تصرّفُه   الى الزوال، فيَبلى وهو يُبلينا

تاللهِ ياظلمةَ الماضي، ويا عدماً   في ليلهِ الابديَ الدهرُ يَرمينا
ما زال لُجّكِ للأيامِ مبتلعاً   فما الذي أنتِ بالايامِ تُجرينا
ناشدتُكِ اللهَ قولي وارحمي وَلِهي   أتُرجعينَ لنا احلامَ ماضينا؟

فيا بحيرةَ ايام الصِبا ابدًا   تبقين بالدهر والأيامِ تُردينا
تذكارُ عهدِ التَصابي فاحفظيه لنا   ففيكِ عهدُ التصابي باتَ مدفونا
على مياهِكِ في صفوٍ وفي كدرٍ   فليبقَ ذا الذكرُ تُحييه فيُحيينا

وفي صخورِكِ جرداءَ معلقـةً ... عليك، والشوحِ مسودِّ الافانينا

وفي ضفافِكِ، والاصواتُ راجعةٌ ... منها اليهـا كترجيعِ الشجيّينا

وليبقَ في القَمر الساري، مُبَيِّضةً ... انوارهُ سطحَكِ الزاهي بها حينا

وكلما صافحتكِ الريحُ في سحرٍ ... او حرّكتْ قصَباتٌ عِطفَها لينا

أو فاحَ في الروضِ عِطرٌ فليكن لكِ ذا ... صوتـاً يُردّد عنّا ما جرى فينا

أحبّها وأحبّتْهُ، ومـا سلمـا ... من الردى، رحمَ اللهُ المحبينا



يأس

لم أبلـغ العشرينَ بعـدُ وهمتي ... ملّتْ بميـدانِ الحيـاةِ جِهادا
وسَوادُ شعْري ما تغيَّر لونُه ... وبياضُ آمالي استحالَ سَوادا
سأمرُّ يا روضَ الشبيبةِ تاركا ... بعدي غصونَكَ في الهوا تتهادى
إن كانَ عودي في ظلالكِ اخضرا ... فلكَمْ بكيتَ نظيرَهُ أعوادا
ولكم سمعت نظير صوتي منشدًا ... فغدًا يعيدُ لك الصدى الانشادا
كم قامةٍ كان الربيعُ لها حُلى ... فمضى وصارَ لها الخريفُ حدادا
لم تجن منكَ يداي يوماً وردةً ... الا استحالتْ بالشقاء قتادا
نارُ يُجدّدها الرجاء باضلعي ... فيُعيدُها اليأسُ الجديدُ رمادا

***

ما قصدُ ربك بالوجودِ وقد غدا ... كلُّ امرئٍ بضلالـه يتمادى ؟
ناديتُهُ وسْطَ السكونِ مؤمـلًا ... وابو العلا قبلي كذلك نادى

اذكريني

عن الفرد دى موسه بتصرف

إذ كريني كلما الفجرُ بدا فاتحاً للشمس قصرَ العجبِ
واذكريني كلما الليلُ مضى هائماً مُلتحفاً بالشهبِ
واذا ما صدرُكِ ارتجَّ على نغَمِ اللذاتِ وقتَ الطرَبِ
أو دعاكِ الظلُّ يامي الى لذَّةِ الاحلامِ عند المغربِ
فاسمعي من داخل الغابِ صدى هاتفٍ فيها يناديك اذكري

* * *

اذكريني إن غدا صرْفُ القدرْ فاصلاً ما بيننا للأبد
يومَ لا تُبقي الليالي والعِبَرْ من رجاء لفؤادي الكمدِ
واذكري حباً بهِ قلبي انفطرْ ووَداعاً ذاب منهُ كبدي
واذا الحبُّ على القلب انتصرْ غلبَ البعدَ وطولَ الأمد
ابداً ما زال قلبي المُحْتضَرْ نابضاً فهو يناديك اذكري

* * *

اذكريني عندما القى المنونْ ويضمُّ التربُ ذا القلب الكسيرْ

عندما تفتح للفجر الجفونْ　　زهرةُ القفر على قبري الحقيرْ

لَنْ تَرَيْ من بعدها ذاك الحزين　　لن تَرَيْ، لكنَّ روحي ستطيرْ

ابدًا نحوك كالاخت الحنون　　تحفظ العهد عـلى مرّ الدهور

واسمعي من جانب القبر انينْ　　في دجى الليل يناديك اذكري



القلب البشري

عنوان خطاب القاه الناظم في جمعية شمس البر سنة ١٩٠١ . والقصيدة الآتية والتي تليها (العصفور) قيلتا الاولى في مطلع الخطاب والثانية في الختام .

أسعَد الله مساء الصُحُبِ ساداتِ الفضلِ الكرامِ النُجبِ
وحمى اللهُ حِمى جمعيةٍ جمعتكم يا خيارَ العرب
هي شمسُ البِرِّ إلّا أنها تجمعُ اليوم شموسَ الأدبِ
ما عسى ينظمُ فيكم شاعرٌ شاعر بالعجزِ لا بالتعبِ
وقفَ اليوم خطيباً بينكم بعدما ودَّع فنَّ الخطبِ
قَلْبُهُ أصلُ بلاهُ فاعذروا إن شكا مِن قلبهِ المضطربِ
رام أن تُجلى لكم اسرارُه فغدا يرقصُ لا من طربِ
وغدا خلفَ حجابِ الصدرِ لا يتمنى غيرَ شقِّ الحجبِ

***

سيداتي لستُ أرضى فئةً أنكرتْ ما بينَنا مِن نسبِ
إنما القلبُ كتابٌ غامضٌ فيـهِ للمرأة أسمى مطلبِ
والذي تكتُبهُ فيه لنا ما رأينا مثلَهُ في الكُتُبِ

ولذا لم تلقَ قلبًا خافقًا لا ينادي هيَ اصلُ السببِ
وخفوقُ القلبِ داءٌ مُزعجٌ حيَّر النَاسَ فقالوا : عصبي
زعموا الطِبَّ عليهِ قادرًا وانا أدرى فقد جرَّبتُ بي
وسماءُ الحبِ مَنْ مِنَّا تُرى لم يُضىءْ فيها لهُ مِن كوكبِ ؟
كان في الخاطرِ أن أنظمَهُ لكمُ مِن كل معنى عذبِ
انما عهد التصابي قد مضى فقضى الشعرُ بهِ وهو صبي



العصفور

يا ايها العصفور ما لك صامتاً   حيران مكتئباً ، وماذا تطلب
قد كنت لا تدري السكوت ولم يكن   غير التنقل والغنا لك مذهب
ماذا دهاك ، فهل اصابك علة   ام أنت في ظمإ وماؤك ينضب
ام راعك الصياد عند مروره   فغدوت مثلي للمصائب تحسب ؟
هيهات ، لا مرض ولا ظمأ ولا   صيد اخاف ولا عدو ارهب
لكنّ لي عشاً فقدت جماله   فانا على عشي انوح واندب
ام ربيت بظلها وعزيمتي   وهن ونبت الريش مني مجدب
كانت تلازمني وتسأل زوجها   قوتاً فيتركها لدي ويذهب (١)
حتى اذا اكتمل الجناح وطرت من   اسري ، غدت عن ناظري تتحجب
لكن اتخذت اليفة لي بعدها   كانت تلذ بها الحياة وتعذب
يا طال ما عشنا معاً في الفة   ابداً نغني للزمان ونخطب
طورا تحيينا الجبال وتارة   بقدومنا الوادي الخصيب يرحب
ولكم مررنا في الحدائق نرتقي   شجرا ومن كأس الازاهر نشرب

---

١) راجع كتاب العصفور لمثله .

ولكم هنـاك استوقفت نغماتنـا شيخاً يودّعُ او صبياً يلعبُ
ولـكم ذهبنـا للقبور نسامر الموتى وارواحَ الأحبـةِ تطربُ
حتى اذا وقع القضا اصبحتُ لا امٌّ ولا إلفٌ يحنُّ ولا ابُ
لـكنَّ قلبي لم يزلْ يجـدُ الهوى عَذبًا وإن يكُ بعدهم يتعذبُ

* * *

قد قال لي العصفورُ ذاك ولم يزدْ ومضى يُشرّقُ في السما ويُغرّبُ
وسمعتهُ في الجـوّ يُنشدُ حكمـةً لك يا ابنَ ادم بالمدامعِ تُكتبُ
لا حُبَّ الا بالامانـةِ فـاعتبرْ فـالقلبُ حُبٌّ والحياةُ تقلُّبُ

١٩٠١

الشباب

من قصيدة تليت في حفلة شمس البر بعد خطاب للمرحوم نجيب طراد عن الشباب .

يا خطيبَ الشباب ايُّ فؤادٍ ... كان مِن خفَّةِ الشبابِ خلياً
أنتَ سميّتَه ربيعاً ، ولكن ... كم شتاء بهِ طويناها طيّاً
ما ندمنا على الحياة ، وحسبي ... أنّ بعضَ الحياةِ كان شهياً
وإذا رافق الشبابَ اجتهادٌ ... فحلالٌ لهوُ الشَباب لديّاً
يا صباحَ الحياةِ ألفُ سلامٍ ... في صباحي والفُ شكوى عشياً
كلما أدركت بك النفس شيئاً ... نلتَ منها جزاء ذلك شيّاً
أنت تبني لها وتهدم منها ... فهي تلهو والعمرُ يهتفُ هيّاً
وقريباً فجرُ المشِيب سيجلو ... ظلمـة للشبابِ كانت عليّاً
وبهيٌّ نورُ المشِيب ولكن ... لا تراه كلُّ العيونِ بهيّاً
يفضحُ المرء لونُه حين يبدو ... باكرًا والخضابُ لم يتهيّأ
وخضابُ المشِيب لو كنت تدري ... جزية يدفعونها شهرياً
وشعورُ الحسانِ اصدقُ مني ... إن اردتم تحليله كيمياً
قُل لمن يطلبُ الصبا وهو شيخٌ ... ايها الشَيخُ لن تعودَ صبياً

(البقية مفقودة)

كوبيدون

قد قيل إن الحُبَّ يوماً غرَّهُ ... عِطرٌ يفوح من الحبيب وطيبُ
فأصابَ منهُ زهرةً حتى اذا ... ما شمَّها والشمُّ فيهِ غريبُ
هجمت عليه نحلةٌ كمِنتْ لـه ... فيهـا فعـاد ووجهُه مخضوبُ
ومضى الى ڤانوس يشكو امره ... والدمع فوق الوجنتين صبيبُ
ويقول قـد أدمت جبيني نحلةٌ ... مـا ردَّ عني قوسي المرهوبُ
اماه ضاقت حياتي ، جلدي وهما ... امـاه ما لي في الحياة نصيبُ
فتألمت «ڤانوس» عند سماعِهـا ... شكوى إلهِ الحبِّ وهو يذوبُ
لكنها ابتسمتْ لـه وتلطّفت ... بالقولِ وهو لصدرها مجذوبُ :
يا ايهـا الطفلُ الغريبُ بطبعـه ... عن صرعكَ العشاقَ لستَ تتوبُ
إن كان لدغةُ نحلةٍ بك أثّرتْ ... فظننتُ أنَّ الموتَ منك قريبُ
مـاذا يحلُّ بمن سهامُك لم تزل ... تَرمي قلوبَهم بهـا ، وتُصيبُ ؟

١٩٠١

بكاء الاطفال

للشاعرة الانكليزية مسز برونن (بتصرف)

هل سمعتَ الأطفالَ يا صاح تبكي قبلَ أن تعرفَ الأسى والشقاء ؟
كلُّ طفل في حِضنِ من ولـدَته يتعزى لو كان يرضى العزاء
العصافـيرُ في الرياض تغني وثُغاءُ الخرافِ يحكي الغناء
وابتسامُ الازهار كل صباح بشذاها يُعطر الارجاء
انما الطفل وحـده يا صحابي بات يبكي ويستلذ البُكاء

* * *

هل سألتَ الطفلَ الصغير لماذا راح يبكي ودهره ما اساء ؟
يذرف الشيخ دمعَـه لشباب ضيَّع الصبرَ بعده والرجاء
وغصونُ الاشجـار تحزن إذ تخلعُ أيدي الخريفِ عنها الرداء
وجراحُ الابدان تؤلمُ ان لم يمسحِ البُرءُ وهجها والدماء
انما الطفلُ وحدَه لست تدري ما الذي في البكا لـه يتراءى

* * *

إن في ادمعِ الصغـار لسرًا لَقَّنتـهُ ارواحُهـا الشعراء :

ارضُكم ظلمةٌ ونحن صغارٌ ولنا ارجلٌ تحاكي الهواءَ

ما مشينا عليكِ يا ارض الا خطواتٍ ، وقد سقطنا عياءَ

فسلوا الشيخَ مادعا لبكاه لا صغارًا في ارضهم غرباءَ

راحة الشيخ في التراب ولكن نحن جئنا هنا نقاسي البقاءَ

١٩٠١



زيارة من غير موعد

(شعر طليق)

مرحباً بالشتاء إن كان غيري لا يرى في الشتاء الا حدادا
مرحبا بالشتاء والقلبُ خال اعبدُ النارَ في سكون الليالي
مستريحاً من الهوى وهمومهْ

هذه عُزلتي فنَمْ يا فؤادي ليس من زينب هنا او سُعادِ
وإلى الطِرسِ يا يراعُ فعندي في زوايا الفكرِ العميقِ معانِ
آن أنْ يطلعَ النهار عليها

قاتُ هذا وما حسبتُ حسابا للذي خبأت يد الاقدار
قرع البابُ ، من تُرى يقرع الباب وليست بساعة الزوار
ودبيبُ النعاس في الاجفان ؟

قال لي افتحْ ، انا هو الحبُّ قلت اذهبْ، فما لي بالحب يا حبُّ شانُ
قال بردُ الشتاء يقرصُ عظمي ودموعُ السماء تُمطرُ جسمي
وجناحي مهدّم مكسورُ

عبثاً تطلب الدخولَ فنفسي ايها الحبُّ قد سَلَتْكَ طويلا
نسيتْ عادةَ الصبابةِ والشكوى وذكرَ العهودِ والتقبيلا
نسيتْ فعلَ قوسِك المرهوبِ

قال ما لي في غيري نارك مطمع فافتح البابَ ، لا يفيدُ الجدالُ
افتح البابَ ان قلبي تَقطع واذا مُتُّ عند بابك ، قالوا
عن دمي انت وحدك المسؤولُ

هكذا كان يستغيثُ ويبكي ولهوج الرياح عصفٌ شديدُ
رقّ قلبي له فقلتُ الا ادخلْ ايها الحبُّ ، وليكن ما تريدُ
ورجائي ان لا تطيل المُقاما

دخل الحبُّ مسرعاً نحو ناري ثم حَيّى وثغره يبتسم
ومضى بالحديث غيرَ خجولِ يتباهى بغرةٍ وحجولِ
وبما نال من دموع ومن دمْ

عمركَ الله هل رأيتَ كشعري اشقرَ اللون صافيا كالشعاع
او كخدّي الاسيل ، او كلِحاظي حينَ ادمي بها الفؤادَ الخليّا
عمركَ الله ، هل تفرّست فِيّا

****

قُضي الامر بيننا ، وبداري اصبح الحب حاكمًا ما شاء

اقفل الباب ، آمنا في جواري ناسيًا ان يعودَ من حيث جاء

وانا .... قد نسيتُ فتح الباب

باريس ١٩٠٦



من قصيدة في اكس لمبين

رعى الله « اكساً » من بلاد جميلة		وان كان فيها اللهو يبني ويهدم
سقتها عيون الماء عذباً ومالحا		وكم صحّ في كبريتها المتالم
وما شاقني الا بحيرتُها التي		راى الوحيَ فيها شاعرٌ ومتيمُ
وقفتُ لديها صامتاً ولموجها		انينٌ بانفاسِ المحبين يُنظم
فلم ادرِ هل منها استعار بُكاءهُ		لمرتين ام ذا صوته يتكلم

١٩٠٦

الدستور العثماني

يابني عثمانَ انتم أمةٌ أصبحتْ موضوع إعجاب الامم
سيُعيدُ العدلُ تاريخاً لكم طُبعَ المجدُ بـهِ منذ القدمْ
في حمى جيشٍ عزيزٍ باسلٍ واسعِ الهمةِ كشَّافِ الغُمَمْ
ضرب الظلمَ بسيف قاطعٍ شقَّ منهُ النورُ اكبادَ الظُلَمْ

* * *

صِيحَ بالتركِ فكانت صيحةٌ أيقظتْ من ضَجعةِ الموتِ الهممْ
وسرى للعرش منها هزةٌ فشفَتْ يلذَ من ذاكَ الصممْ
وعرا الشرقَ انقلابٌ صاعقٌ لـو تمنيناه ، في الاحـلام لم..
ورأينا دولةَ الماضي وقد كتب الموتُ عليها «لا رَحم»

* * *

يا حُماةَ الدولةِ الاحرار يا ناصرِينَ السيفَ فينا والقلمْ
كم هوَت اعلامُ مجدٍ منكم في سبيلِ الوطنِ السامي العلمْ
مـا رأينا قبلكم أسدَ وغى دمُها يجري ولا تسفكُ دم

نضتِ السيفَ انتقاماً فغدت تقطُرُ الرحمةَ اسيافُ النِقمْ

* * *

طال ليلُ الذلَّ حتى خلتُه ابديا ، فاذا الفجرُ هجمْ
واذا القبرُ شعاع نيِّرٌ إنَّ في القبر عظاتٍ وحكمْ
مُت لتحيا ، كلُّ شعب لم يجُدْ بدماه فهو موجودٌ عدمْ
لو بدا الدستور جسماً قائماً لرأيتم دمَّا فوقَ رِمَمْ

* * *

يا ملوكَ الارض هذه حكمةٌ يستفيدُ العدلَ منها من حكمْ
إنَّ للامة قلباً لاهباً مثل قلبِ الأرض مشتدَّ الضَرَمْ
ويلُ من يمشي عليه ، إنه يتمشى فوق قذافِ الحمَمْ
مثلما ينفجرُ البركانُ ينفجر الشعبُ اذا الشعب احتدمْ

* * *

هل تظنَّ الجيشَ الا بشرًا مثلَنا فيه شعورٌ وألم ؟
لستَ تدري يومَ تأتي ساعةٌ يستفزُّ المدُّ ذا البحرَ الخضمْ
يوم تمشي الريحُ في أمواجه وهي اصواتٌ وارواح ودمْ

فاذا لمْ تلقَ من يلجُمُه   بلجامِ العدلِ ، لم تُغنِ اللُّجمْ

***

قُلْ لاهلِ الغرب عنّا حسبُكم   إنّ للاتراك بأساً وكرمْ
حرروا الشرقَ وذي اعمالُهم   جدَّدت صَبْوَتَهُ بعد الهرمْ
ولمن يطمعُ في تفريقِنا   كان للتفريقِ عهدٌ وانصرمْ
غيرُ دينِ الحبِّ لا دينَ لنا   نحنُ في البؤس سواءٌ والنعمْ

***

فسلاماً ايها العلم الذي   أطلَقَ العقلَ وبالعدل قسمْ
وسلاماً ايها السيفُ الذي   نصر العلم وما خان القسمْ
وسلاماً يا هلالاً نوره   في سما العيد الجديد اليوم تمّ
أنت طفت الارضَ قبلاً غازيا   ستطوفُ الارضَ سِلماً يا عَلَمْ

١٩٠٨

حريق الاستانة

اقامت جمعية التآخي العثماني التي انشئت في الاسكندرية بعد اعلان الدستور برئاسة حمادة باشا حفلة خيرية لمنكوبي حريق الاستانة وكانة المطربة الشهيرة ليلى لزمي قد انقطعت عن الغناء منذ زمن وابت الاشتراك في اية حفلة سمر ولكنها قبلت الظهور في تلك الحفلة تبرعاً منها وخدمة للخير فكان الاقبال عليها عظيماً وتكلم الناظم باسم الجمعية وهو عضو فيها :

مـا لي ارى هذه الجموعَ سُكارى　　أأذرتِ لحظاً ام اذرتِ عُقارا

يا ربـةَ الصوتِ الجميل ترفقي　　فلقد فتَنتِ السمعَ والابصارا

إني ارى أوتارَ عودِكِ حرّكت　　في كلِ قلبٍ للهوى أوتارا

قولي بربـك لي فاني حائر　　ولكم فتى مثلي بمثلـك حارا

أنشأتِ ما بين الملائكِ طفلةً　　ام كان شحرور الرُبى لك جارا؟

غنّيتِ افراحَ الحياةِ لتُسعدي　　قومـاً غدت أفراحُهم أكدارا

اشجاكِ فقرُهمُ وأنتِ غنيّةٌ　　فأزحتِ عن ذاكِ الحباء سِتارا

وبذلت للاسماع صوتَكِ بعدمـا　　شاقَ القلوبَ وتيّم الافكارا

أطلقتِ ذاكَ الطيرَ من أقفاصه　　فاليوم يُخجلُ شدوُهُ الأطيارا

واليوم يَخفِقُ قلبُ سامعِهِ فـلا　　يدري أيَحمَدُ أم يـذمُّ النارا

***

أحريقَ اسلامبول هجتَ لواعجا وجعلتَ أعيادَ السرورِ قصارا
هيَ جنةُ الدنيا ، وأنتَ اريتنا فيها الجحيمَ تُعذبُ الابرارا
هجروا البيوت وقد تداعت فوقهم فاذا نظرتَ ظننتهم احجارا
تخذوا الظلامَ دِثارَهم في عُريهم فاذا مضى لبسوا النهارا دثارا
فكَّت يدُ الدستور قيدَ إسارهم فاذا هم بيد الشقاء أسارى

***

دارَ السلام سلمتِ للعَليا ولا اخلى الزمانُ من الرضى لك دارا
كم مسَّ جانبك اللهيبُ فلم تري كاليوم اخوانًا ولا انصارا
لكِ من وراء البحر احرارٌ غدوا يتعشقون رجالك الاحرارا
جمعَ التآخي بينهم فغدا لهم دينًا تيمّنِ بالهلال شِعارا
فتعدَّدت انسابُهم وتوحدوا فهمُ يهودٌ مسلمون نَصارى

***

اليوم انتِ أعنتِهم في أمرهم وقضيتِ ياليلى لهمْ أوطارا
يفنى الزمانُ وفضلُ صوتك لخالد فنيا يطوفُ به الصدى الاقطارا
ويشوّقنا كالغاب او كالموج او كالليل لم نُدركْ له اسرارا
فإليك ياليلى الثناءَ مضاعفاً مني القصيدَ ، ومنهم الازهارا
أنتِ انثري الالحانَ درًّا باهرًا وانا بنثرك أنظمُ الاشعارا

١٩٠٨

السيف

للشاعر الفرنسي سولي بريدوم

لـدفع ملمّةٍ ام للرُواء   تُهذّبك الصياقلُ والقيونُ ؟
أرى حدًّا أدقّ من الهَباء   وإشراقاً تغُضّ لـه الجفونُ
واعطافاً تـلينُ مـع الهواء   وتقطعُ كلَّ صلب لا يلينُ
ولم تُخلَق لاعمالِ البناء   ولا للفنِّ تنقشُ او تزين
ولا للزرع تضربُ في العراء   فيخرج تحتك الكنز الدفين
جبينُك فوقه قطراتُ مـاء   وما تَعبُ به عِرقَ الجبين
وقد خضبوك من شمس المساء   رقيقَ الشفرتين، فمن تكون

واي مزية لك في المضاء؟

انا السيف الذي للفتك يدعى   وجودي شرُّ آفاتِ الوجود
تمدّ لي الملوكُ يدًا فأسعى   بقبضهـا الى فتح اللحود
فتدفعُ بي الجنودُ الموتَ دفعاً   وشُغلي ضربُ اعناق الجنود
ويهوى التاجُ من خدّي لُمعا   وكم لهواي من تاجٍ شهيد

ولا انفكَّ بالاطماع أرعى حروبَ الناس من بيض وسود
وازدع في الدروب دماً ودمعاً وأقطع زهرة النسل الجديد
الى أن تلبس الاجساد دِرعا مناعتها اشدُّ من الحديـد
يحوكُ نسيجَها «حقُّ البقاء»

و

المراة والشاعر

ختام خطاب في المرأة والشعر الفني في الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٠٣

المرأة

عُدْ للهوى فربيعُه قد عادا | والعشبُ للعشاقِ مدّ وسادا
وعلى الارائك للهزار مواقف | تستعبدُ الارواحَ والاجسادا
فعلام شعْرك لا يكونُ لها صدى | أعدِمتَ نطقاً ام عدِمت فؤادا

الشاعر

لا لا فقلبي قد عَرَفتِ خفوقه | هيهات قلبي أن يكون جَمادا
لم ابْلغِ العشرين بعد وهمتي | ملَّتْ بميدان الحياة جهادا
وسوادُ شعري ما تبدّل لونه | وبياض امالي استحال سوادا
فدعي اعتراضك واخلعي عني الهوى | فلقد كفاني شقوةً وسُهادا

المرأة

عجباً أتنسى أن قيدك في يدي | حتى طمعت بأن تفكّ قيادا
ملّ الصبيُّ من الحياة وغيرُه | شابت نواصيه وزاد فسادا
أتُراك لم يبلغك ان فضائلي | تركت عبادَ الله لي عبّادا

هلْ سرتَ في قفر الحياة ولم تجد	مني دليلًا اين سرت وزادا
هل فاتك القمر المنير ولم تجد	في نور وجهي الكوكب الوقادا
هل شئتَ ادراكَ العلاء ولم يكن	ضعْفي اضعفِك قوةً وعمادا
هل كان عقلك، لو غضضتُ نواظري	أجدى بمخترعاته واجادا
تلك الصنائع والفنون، هل ارتقت	او عمَّرت لولاي منك بلادا
هل نال في الأمراض لولا علتي	دنفٌ بطبك ما اشتهى وارادا
يا ايها الرجلُ الكفور بنعمتي	لو كنتَ وحدكَ هل ذكاك افادا
من كان في الفردوس ينشد ضائعاً	او في الجحيم يناشد الوقادا
من راح يروي مجدَ اندلسٍ لنا	ويزور في عمرانها بغدادا
من لقب الملك المضلل في الهوى	او عبدَ عبس رقة وجلادا
أنسيتَ في وادي العقيق وضاله	سلمى ودعد وزينبا وسعادا
او لستَ اول شاعر في شعره	فوق المنابر بالمحبة نادى

الشاعر

عفوًا فهانذا أقرّ بزلتي	واتوبُ لا طمعاً ولا استنجادا
أجثو على اقدامِ جنسك ذاكرًا	أمي فلولا الامُّ مجدُك بادا
وأجلّ فيك رفيقةَ العمر التي	تحيي العيالَ وتحضِنُ الاولادا

واكرمْ الاختَ التي بحَنانها تنسي السقيمَ الطبَّ والعُوّادا
ضلَّ الذي ظنَّ الحياةَ جميلةً في البعد عنكِ ومنْ يطيق بعادا
الكونُ شعرٌ انتِ بيتُ قصيدِه لولاكِ ما عرَف الورى إنشادا



احمد شوقي

(من قصيدة فيه نظمت عند صدور ديوانه الاول)

خطبتك الهةُ الغناء فانت في روض يضمُّ الوردَ والنسرينا
تسقي بماء الشعر اشجارَ الهوى وتَهزُّ اوراقاً لـه وغصونا
وتشاركُ الاطيار في الحانها فترى بانك فقتها تلحينا
نغماتُ عودكَ في فؤادي حركت شوقاً لنظم الشعر كان دفينا
عود اذا سمعوا صدى ايقاعه ذكروا الألمب واهله الخالينا
اوتاره لما سمعت رنينها تركت لاوتار الفؤاد رنينا
فتركتُ اسلحة الطبيب محركاً قلمي ولم يك مثلها مسنونا
وسُئلتُ من تشتاق ؟قلت لاحمد شوقي اذا صدق الفؤاد ظنونا

* * *

يا احمد الشعراء اين مكانهم من شاعر نظم القريض فنونا
وقفوا على اطلالهم يبكونها فسبقتهم وتركتهم يبكونا
وغمسْت في الماضي يراعة صادق نقلت سطور الحق للآتينا

* * *

يا مصر فيك اليوم اشرف نهضةٍ تحيي بها اللغة الشريفة فينا
لم يبق من املٍ سواك لتزدهي وتريك عود شبابها وترينا
جددت سوق عكاظ بعدعفائها لكن عكاظ اليوم لا تكفينا
فأريتنا دار السلام جديدة وأريتنا العباس فيك هرونا

***

يا شاعر النيل احتفل بتحية حملت اليك محبة وحنينا
أهدي لحافظ مثلها ولكل من في مصر انشد حكمة وشجونا
حتى يمتعني الزمان بزورة لكم تقرّ بها النواظر حينا

١٩٠٢



الى صديق مفارق

رويدكَ رفقاً بقلبي الرقيقِ فليس يُطيقُ فراقَ الصديق
يكاد اذا ما ذكرتُ النوى يقول لصدري ابتعد من طريقي
وما هو اولَ يومٍ بـه لاجلِكَ كانَ شديدَ الخفوق
فسقياً لايامنا الماضيات وعيشٍ بقربك زاهٍ انيق
زمانٌ اراني الزمانُ بـهِ مثالَ الصديق الوفي الصدوق
فمتعتُ عيني بوجه صبيح ومتعتُ نفسي بقلب شفوق
وذقتُ حلاوة خُلقٍ حوى معاني النسيم ومعنى الرحيق
فُرحتُ بودك ذا نشوةٍ أقول لنفسي الا لا تفيقي
وما كان الا بعادك عنها ليجعلَها في اضطراب وضيق
عزمتَ الرحيلَ ويا ليتني عزمتُ فكنتُ رفيق الطريق
اسامرُ فيك الندى والمعالي والثمُ عهدَ الوفاء الوثيق
واسمع منكَ حديثاً هويتُ هوى الشعراء لماء العقيق
فأنشد يا بحرُ اين لآلٍ حرصتَ عليها بلجٍّ عميق
وأنشد يا دهر اين ليالٍ سهرتُ وبدرُكَ فيها رفيقي
أهجت بي الشعر بعد السكوت زماناً بهِ كم غصصت بريقي
ولَوْ كان في الشعر دفعُ فراق جعلتُ صبوحي به وغبوقي

١٩٠٣

الربيع

نيسانُ يا ملكَ الشهور تحيةٌ — مني أُردِّدُها بكل مكانِ
لك كلَّ عام زورةٌ محبوبة — هي يقظةُ الارواح والابدان
ما هذه الحللُ التي تُكسى بها — فيظلُّ نوركَ باهرَ اللمعان
هل شاطرتك الشمس درَّ شُعاعها — فغدوتَ من هجرانها بأمان
أم تلك «حولياتُ» شعرك توّجت — زمنَ الهوى يا شاعر الازمان

* * *

لك يا ربيعَ الدهر عندي ذمة — ترعاكَ في صدري وفي اجفاني
لو انصفوا تركوا القصور وعيَّدوا — لك في ظِلال الروض والبستان
ما لي وللإجهاد لم يتركْ لهم — غيرَ الهجير وغلَّةِ الظمآن
يتنازعون على الحياة ، ولو دروا — وجدوا الحياة بصدرك الملآن
هي ساعةٌ للحب ما سكتت على — ندم ، ولا دقّت على خسران

* * *

يا ارضُ ، يا وطنَ الجميع وإن تكنْ — قسمتكِ أَلسُنُهم الى اوطانِ

إن كنتِ مأوى الجسمِ بعدجموده   فالجسمُ ليس مع الجمود بفانِ
ارواحُ من نبكي بعثتِ رسومها   في الزهر ضاحكةً وفي الاغصان
« في كل زاهرة ترقرق بالندى »   عين تخاطبنا بألف لسان

* * *

لو تخرق الابصارُ صدركِ لم تجد   الا فؤادًا دائم الخفقانِ
تُروي عناصرُه الجذورَ ودونها   شبك من الالياف والقضبان
حتى اذا شبِعتْ تصاعد ماؤها   يُهدى الى الأوراق خيرَ لِبان
ويمرُّ في الاغصان يملأها دماً   بِشريانـهِ ووريدهُ سِيَّان
عملٌ يضيعُ العقلُ في ظلماته   وقُوًى تصرّفها يدُ العمران
تُطوى الحياةُ بها فتنشرُ زهرةً   هي لو علمتَ شقيقةُ الانسان

* * *

ليتَ الحبيبَ يُقِرُّ يوماً ناظري   وكما رأيتك يا ربيعُ يراني
في الصدر اخلاقُ الشباب حبستُها   ومنعتُها عن معشري وزماني
لكنْ إذا ما مسَّها بيمينه   هبَّت فكان له ربيع ثان
ورأى من الأسرار طيَّ برودِها   الخضراء ما يُغنيه عن نيسان
وغدا يعيدُ على فؤادي وحيه   لغة الرجا والحبَّ والايمان

٣

فأقول للزُهر المنيرة غيّبي ما شئتِ نورَكِ فهو نُصب عِياني

واقول للنسر المحلق في العُلى مهما سموتَ فلستَ تبلغ شاني

واقول للغابِ الفصيح سكوتُه بي مثلُ ما بك من شجيّ معاني

واقول للساقي كؤوسك مُرّةٌ الا اذا مزجت بخمر بياني

واقول للاقلام بعد جمودها غنّي فأنتِ اليوم طوع بناني

* * *

هذي عجائب من أحب فليتَه يأتي فيلهبُ خاطري وجناني

ما زلتُ اسألُ عنه اخوان الهوى حتى علمتُ بأننا أخوان

ان كان يفهمني فيا لَسعادَتي او كنتُ اجهلُهُ فما اشقاني

١٩١١



الزهرة والفراشة[1]

زهرة في الحقل يوماً سألت من فَراش الحقلِ معشوقاً صغيرا
ما الذي يُلهيك عني جاعلاً لك كالنجم اختفاءً وظهورا
غائبا حينا ، وحين حاضرا مالنا نفسي غياباً وحضورا
أفما أنت رفيقي في الهوى أبدًا أرشفك الثغر الطهورا
عَائشاً في عُزلةِ الحبّ معي لا ترى إنساً ولا تخشى شرورا
قــد تماثلنا جمالا وسنًى وتفاهمنا حفيفاً وشعورا
ولبسنا ثوبَ نورٍ واحدٍ فكلانا زهرةٌ تسطع نورا
لا أرى مــا بيننا فرقاً ، بلى سُوءُ حظي جعل الفرق كبيرا
أنت في الجو طليقٌ ، وانا بالثرى رابطة جسمي الاسيرا
كم سرتْ نحوكِ انفاسي فلم تتزوّدْ عِطرَها إلّا يسيرا
هائماً بين ازاهير الرُبى تائها في الجوّ زهوا وسرورا
وانا انظر ظلي دائرا حول جسم عاجز عن أن يدورا
وأبيتُ الليلَ اشكو وحشتي بفؤاد لم يكن عنك صبورا

(1) القسم الاول مأخوذ عن فكتور هيكو والثاني اي جواب الفراشة لصاحب الديوان .

ولذا تلقى بجفني ادمعاً ... كلما عُدتَ مع الفجر منيرا
هاجري ، إن صحّ عهدٌ بيننا ... فدعِ الهجر طويلاً وقصيرا
واتخذ مثلي اصلا في الثرى ... أو أعِر جسمي جناحاً فأطيرا

* * *

زهرتي ما زلتُ أهوى في الحمى ... ثغركِ اللؤلؤ والصدرَ الحريرا
وبعادي عنكِ سرٌ ادركتْ ... اخواتٌ لكِ معناه الخطيرا
أنا كالريحِ رسولٌ للهوى ... مثلها حمّلني شوقاً كثيرا[1]
تلك ذرّات غبارٍ أخذت ... بذيولي حين ازمعتُ المسيرا[2]
عجباً لم أشكُ منها ، وهي ... إذ لامست صدركِ اذكتهُ سعيرا
ما عَرفتِ الحبَّ لولاها ولا ... ذُبلت اجفانُك اليوم فتورا
زهرتي ، لو كنتِ مثلي حرّةً ... اين ألقى بعدكِ الروض النضيرا
وإذا عفتُ انا أجنحتي ... كيف أعطي قبلتي تلك الثغورا
نحن بالفرق الذي تشكينه ... نتساوى ، فاطرحي عنك الغرورا
ودعي اللوم ، كلانا حاملٌ ... علمَ الحبّ ، فراشاً وزهورا

(١) اي كما تحمل الريح رسائل الشوق حملني اخواتك الازهار هذا الشوق الكثير .
(٢) ذرات الغبار الاصفر اي اللقاح او البولن Pollen الذي يعلق بالفراش من الزهر ، وهذه الذرات هي معنى الشوق .

العيون

إن يعصني يوماً يراعي القاصرُ فلديّ من عينيكِ وحيٌ ناصرُ
هل كانتِ الالحاظُ غيرَ اشعةٍ ليُعيدَها دراً اليكِ الخاطرُ
انا صخرةُ القفرِ التي لا تُستقى ما لم يُفجّرْها بنانٌ ساحرُ
عندي مصادرُ للدموع خفيةٌ هي للفصاحةِ والبيانِ مصادرُ
أستغفرُ الرحمنَ عنكِ فإنه للنور في عينيك بحرٌ زاخرُ
خاطرتُ مغترًا بصفوِ مياهه طمعاً ، وما انا بالسباحة ماهرُ
فغرقتُ عندَ ضفافه ، ياحبذا غرقٌ يكونُ بهِ هواكِ الغامرُ

* * *

يا للعيون وما يحركه بها من كامن الاسرار جفنٌ فاترُ
خُلقت سبيلًا للضلالة والهدى لم ينجُ منها مؤمن او كافرُ
فيها معانٍ للخمور وللطيور وللزهورِ وللبحور مناظرُ
واذا نظرتَ الى عميقِ سوادِها أنشدتَه ياليلُ ما لك آخرُ
الموتُ فيها والحياة تلاقيا الموتُ سرٌّ والحياةُ الظاهرُ

في دقةِ التركيبِ اضعفُ كائنٍ إنسانُها وهو الالهُ القادرُ

***

لا تُنكري ، عيناكِ شاهدتان لي ما نال مثلهما الغزالُ النافرُ
حملتِني الضدّين منكِ ومنهما فانا مُقيمٌ في الهوى ومُسافِرُ
للفكر اغلالٌ وليس مقيّدًا للقلب اجنحةٌ وما هو طائرُ
روحي ورُوحكِ لجّتان تشابها عمقًا وفوقهما الحياءُ الخافرُ
فلتجعلِ النظراتُ جسرًا بيننا تجتازُه مني ومنك سرائرُ
ايكونُ لي قلمٌ واكتمُ أمرَه واللحظُ في الاقلام ناهٍ آمرُ
ام كيف احبسُ عنكِ فيض قريحتي ويقولُ بعضُ الناس إني شاعرُ؟
أنتِ الغنيّةُ قبلَ مالكِ بالذكا وخلائقٍ هي كالربيع نواضرُ
انا استقلّ المالَ إن لم يجتمع معهُ من الاداب حظٌ وافرُ
وارى الجواهرَ في النحور حقيرةً إن لم يزنْ تلك العقولَ جواهرُ
ولقد عرفتكِ فاكتفيتُ بما ارى نفسٌ مهذبة وخُلقٌ طاهرُ

ايار ١٩١١

ايها الطائر الشريد

من رواية فتح مصر للمؤلف . تُغنى هذه الابيات عندما تؤخذ فتاة النيل لتقدَّم ضحية مقدسة .

ايها الطائرُ الشريدْ ما الخبرْ
انتَ تبكي فهل بعيدْ ذا السفرْ
ودّع النخيلْ والخندقوقْ
واتبع النيلْ حيثما يسيرْ ، تطيرْ
تسمع الغريق ، صوتك الرقيقْ ، علّه يُفيقْ
هل شجاك القمرْ واحمرار العيونْ ، بدموع الأرقْ
ام جفاك الشَجرْ واهتزاز الغصون ، وحفيف الورقْ
ام مللتَ البقاءْ بديار الشقاء ، والبشرْ
ايها الطائرُ الشريدْ ما الخبرْ
انت تبكي فهل بعيدْ ذا السفرْ ؟
فيجيبها الصوت الخفي بعيدْ ، بعيدْ

ويسدل الستار

البنفسجة

أهوى البنفسجَ آيةَ الزهرِ ... في الشكلِ والتصويرِ والعِطرِ
وأحبُّه في الأرض مختبئاً ... وأحبُّــه في بارزِ الصدرِ
ولكل عذراء أقـدِّمه ... ما دامَ فيه حياؤه العُـذري
لكنْ شجاني منهُ حادثةٌ ... أجرت دموعَ عرائسِ الشِعر
هي زهرةٌ بجوارِ ساقيةٍ ... نبتتْ وعاشتْ عيشةَ الطهر
لم تدر غيرَ العشبِ متَّكأً ... وسوى عناقِ الماء لم تدرِ
فاستيقظتْ يوماً كأنَّ بها ... سكرًا وقد شربت ندى الفجر
تبكي جوًى وتقولُ : ما أملي ... لو عشتُ خالدةً بذا القفر
حسناء لكن ، لا عيون ترى ... حسني ولا من عارفٍ قدري
هلّا صعدتُ الى ذرى جبلٍ ... ونعمتُ بعد الكوخِ بالقصر
فأرى الجديدَ من الوجودِ وما ... تحوي معاني الكونِ من سحر
وأشارفُ الـدنيا وأجعلها ... تطوي مناظرَها على نشري[1]
قالت وقام بها الهوى فمشت ... في القَفرِ مثلَ ظبائه العُفْرِ

---

(١) النشر : الرائحة.

والريح تحملها وتقعدها وتموج بين الشعر والخضر
حتى اذا اهتز الكثيب لها وقفت تقلب نظرة الكبر[1]
فرأت بساط العشب منتشرا تلوي عليه معاطف النهر
جاراتها في الحي نائمة حمرا على أعلامها الخضر
فاستبشرت بالفوز وانطلقت تعدو ولا تلوي على أمر
وحلا لها السفر البعيد وما حسبت حساب الحلو والمر
الأرض محرقة وواعرة فكأنها تمشي على جمر
ورفيقها هوج الرياح وقد ثارت عليها ثورة الغدر
ترمي بها كل الجهات فلا ترتاح من كر الى فر
حتى اصابت هضبة عرفت فيها نعيم العين والفكر
من تحتها الجنات مشرقة بالزهر كالافلاك بالزهر
والناس والأشياء مائجة كالبحر في مد وفي جزر
قالت بدأت ارى فوا طربي لو كنت ابلغ موطئ النسر
اسمو الى قمم تحجبها تلك الغيوم بحالك الستر
فارى بديع الكون تحت يدي وأفض منه غامض السر

* * *

1) الكثيب : التل من الرمل.

يا للبنفسجة الجميلة من اهوالِ ما لاقته ، لو تدري
لم يبقَ من طرق تسير بها في مصعد الاشواك والوعر
واصاب ارجلها الضعيفة ما يرمي الحديدَ الصلب بالكسر
فانتابها ندمٌ ولو قدرت عادت على اعقابها تجري
لكنها خارت وصيرها خوفُ السقوط كراكب البحر
فتشبثتْ بالارضِ مفرغةً جهدَ القوى وبقيّةَ الصبر
حتى تسنمتِ الذُرى وغدتْ في الأوج تتلو آيةَ الشكر

***

لكنها لم تلقَ وا اسفي في الأوجِ غير جلامد الصخر
لا عشب ينبت في جوانبه ابدًا ، ولا اثرٌ لمخضرّ
والعاصفاتُ كأنها أُسدٌ في الجوّ تزأر ايما زأر
والغيمُ ساوى في تلبّدِه ما بين نصفِ الليلِ والظهر
فجثت لاوّل مرةٍ وبكت كالطفل من المٍ ومن ذُعر
والبردُ افسد لونها كمدًا من كل مزرقّ ومحمرّ
فاصفرّ ذياك الجبينُ كما ذهبَتْ نضارةُ ذلك الثغر
ولقهرها أنّت وقد سُمعت وسطَ الزوابع انةُ القهر

«يا ليتني لم اصبُ نحو عُلى وبقيتُ بين مواكب الزهرِ»
ثم ارتمتْ وهنا واسكتها شَبَحٌ بدا من جانب القبر
وتصلّبتْ اعضاؤها ومضت بالموتِ هاويةً الى القعر

***

مسكينةٌ قد غرّها طمعٌ هُوَ كالسَرابِ لكل مُغتَرِ
ظنت بأنَّ لها العَلاءَ غِنى فاذا به فقرٌ على فَقر
ما كان اغناها واسعَدها لوْ لم تفارقْ ضِفَّةَ النهرِ

١٩١١



إلى عازفة على البيانو

ليس « البيانو » الذي باتت تُكَهْرِبُه ... يداكِ أطوعَ من قلبي وافكاري

لمستِه فتمشى السحرُ بي فكما ... تهتزُّ اوتارُه تهتزُّ اوتاري

أصابعُ العاجِ هذه تلعبين بها ... أم تلعبين بأسماعٍ وأبصارِ

أذكى السلام على يوم وُلدتِ به ... يا بنتَ «فردي» و«بتهوفن» و«موزارِ»

لا شكَّ ذلك يومٌ ما سمعتِ به ... حولَ السريرِ سوى تغريدِ أطيارِ

فجاءَ قلبُكِ خفّاقاً بأجنحةٍ ... حفيفُها بينَ موسيقى وأشعارِ

بنتَ الكرامِ الألى ما زرتُ دارَهمُ ... إلّا مَشوقاً وما شوقي إلى الدارِ

جدّدتِ للشعرِ نارًا في الفؤادِ وكم ... قد خابَ غيرُكِ في شِعري وفي ناري

أثرتِ فيَّ من الاشجانِ كامنَها ... فبتُّ أسهرُ ليلي حولَ تَذكارِ

كزهرةِ القفرِ في الظلماءِ ليسَ لها ... من مُؤنسٍ غيرُ نورِ الكوكبِ الساري

١٩١١

على صفحة من كتاب

هذه اسطري تُردِّدُ ذِكري كلّما قلّبتْ يداكِ الكِتابا
ليس فيها سِوى احترامِ صديقٍ بكِ حياً الذكاء والآدابا
قد طوى صفحةَ الشبابِ، ولكن لم يزلْ قلبُه يُحبُّ الشبابا
وكتابُ الحياةِ طيٌّ ونشرٌ أخطأ المرء درسَه أم أصابا
نقرأُ الصفحةَ السعيدة فيه مرةً والعذابُ يتلو العذابا
فاغنمي الساعةَ التي أنتِ فيها واستفيدي عِلماً بها واكتسابا
واجعلي الحبَّ للحياةِ لِباساً قبلَ أنْ تلبسَ الحياةُ الترابا

١٩١٦

الحرب الكبرى

لاهايُ ! هَلْ صوتٌ بجوكِ يُسمعُ
هَيهاتِ ، ما لاهايُ الا بلقعُ
لم ينفعِ القصرُ الذي شيَّدتِهِ
وكذا الرمالُ قصورُها لا تنفعُ
جمَعَتهُمُ الأطماعُ فيك ، فمذ نأوا
قالتْ لهم أطماعُهُمْ : لَنْ تُجمعُوا
ما أبدعَ الحُلم الذي حلَموه لَوْ
وقفوا على تحقيقِهِ ما أبدعوا
زرَعوا الكلامَ فما حصدْتِ ، واصبحوا
السيفُ يحصُدُ فيهم والمدفعُ
هي يقظةٌ طاحَتْ بها اعمارُهُم
فكأنهم فتحوا العيونَ ليهجعوا

***

فِي ذِمَّةِ الرحمن كلُّ سُمَيْذَعٍ
يمشي إليه مِن العدوّ سميذَعُ
جهلوا القتالَ فعلّموه ، ولم يكن
مِن طَبعهم سفكُ الدماء فطُبّعوا
النازلونَ من الخنادق حيثُ لا
نَسَمٌ يهبُّ ولا شعاعٌ يسطعُ
الماخرون الجوّ فوق سوابحٍ
تجري بامرتها الرياحُ الاربعُ
الراكبون على البحار صواعقاً
كم ضيَّعت منهم ولم يتضعضعوا
النافضون جبالها وثلوجَها
لا يطمئن بهم عليها مضجعُ
الذاهبون ولا رجاء ، العائد
ون ولا شِفاء ، السابقون التُبَّعُ

***

يا للهجوم ، وقد دعا داعي الردى
فمشوا إليه والاسنّةُ شُرَّعُ
بجحافِلٍ تُزجى وراء جحافل
وفيالقٍ إثرَ الفيالقِ تُدفعُ
مادت بهم أنجادُها فكأنهم
سِربٌ من العُقبان سودٌ جُوَّعُ
رَصَدَتْهم قِللُ السعيرِ تصبّها
قِللُ الحديدِ ، فلا تَقيهم أدرعُ
بغَتتْهُمُ من خلفِهم وامامِهم
نيرانُها ، فتفرقوا وتجمَّعوا
متسابقين ؛ وليس منهم سابقٌ
متراجعين ، وليس عنها مرجعُ
في مأزقٍ للموتِ أسكرَهم به
رَهجُ الخميسِ وهامةٌ تتقطعُ
حتى اذا انقشع العَجاجُ ، ولم يعد
إلا صدى ذاك الضجيجِ يُرَجعُ

طلَع الهلالُ عليهمِ فاذا همُ
عَدَمٌ فظيعٌ أو وجودٌ افظعُ :
الأرضُ نافضةُ البطونِ تراحَمَ
الموتى بها فهُمُ وقوفٌ رُكّعُ
فكأنه يومُ القيامةِ فيهمِ
أوْ أنهم قبلَ القِيامةِ قد دُعوا

***

يا ارضُ ايّ رواية مثّلتِها
علّمتِ فيها الناسَ أن يتوجعوا
هذي كنوزُكِ أصبحتْ حُمَماً بها
بُركانُ صدرِك ثائرٌ يتصدعُ
أمَللتِ حملَ الساكنيكِ فقلتِ
أفنيهِم ، كفى ما بالوجود تمتعوا
أم شاقكِ الثوبُ القديمُ جررتهِ
لهَباً فقلتِ إلى قديمي أرجع

٦

نارًا تسيلُ بي السماءُ وليس لي
مُهجٌ تسيلُ ولا عيونٌ تدمعُ ؟

* * *

هل تبعثين مع الربيع معزياً
للناس يُنسي ما به قد رُوِّعوا
فيعودُ وجهُكِ ضاحكاً متهللًا
ويعودُ زهرُكِ في الرُبى يتضوَّعُ
ويعودُ للاغصان طيرُكِ آمناً
يتلو مراحمَهُ عليكِ ويسجعُ
ام تبعثين قذائفاً وقنابلًا
لا تقنعين بها ولا هيَ تقنعُ
فيظلُّ صدرُكِ بالنجيع مُخضَّباً
ويظلُّ وجهُكِ بالحِدادِ يُقنَّعُ ؟
إنا سقيناكِ الدماء زكيةً
فاذا الربيعُ أتى سقتكِ الادمعُ

* * *

يا ايها الانسان ماذا تصنعُ
قدكَ اتئـد أربيتَ فيما تطمعُ
هدمتْ يداكَ أعزَّ ما شيّدتَه
ماذا الذي من هدمهِ تتوقعُ
عالجتَ بالعلم الحياةَ ، وإنه
سيفٌ على الحدّين ماضٍ يقطعُ
أعطاكَ ما أعطى سِواكَ فصارعُ
يوماً ويوماً مثل غيرك تُصرعُ
أنا لا أصدّق أنّ مجدَكَ زائلٌ
أنا لا أصدق أنّ ملكَكَ يُخلعُ
إن كنتَ ذا جهلٍ فعلمُك واسعٌ
أو كنتَ ذا بغضٍ فحبُّك اوسعُ
الحبُّ نورُكَ في الحياة ، فإن نأى
عن مطلعٍ أدناك منه مطلعُ
كم ضيّعتْك الحادثاتُ بليلها
ثم اهتديتَ به فلستَ تُضيَّعُ

إرفع حجابَ البغضِ عنكَ ، وبعده

عَلَمُ السلامِ علـى ربوعِك يُرفعُ

إن تمنعِ الأيامُ عنك دوامَه

فشرائعُ العمران ليست تمنعُ

الحبَ حق في الوجود وواجب

تتزعزعُ الدنيـا ولا يتزعزعُ

١٩١٥



لبنان بعد الحرب

كانَ لي عهدٌ على تلك الصخورْ من مطلِّ السفحِ للوادي الخصيبْ
أرشفُ الكوثَرَ من ثغرٍ طهور وأناجي اللهَ في لحظِ الحبيب

والخلودْ
في ورود
خدّه الفتان

شجرُ البلّوط ستارٌ لنا يا حنيني نحوَ ذياكَ الشجرْ
كم هززنا فيه أغصانَ المُنى ورشقنا بالحصى منه الثمر

فتثورْ
في الطيورْ
ثورة الالحان

خلوةٌ أغنى بها شعري الخيالْ عن معاني الزُهدِ من شِعر الضريرْ[1]
وحبيبي ناشرٌ بُردَ الجمال حاجزًا ما بين قلبي والضمير

فتراني
في افتتاني
صاحياً سكران

---

(١) ابو العلاء المعري

زرتُ ذيّاكَ الحمى بعد الغياب وانا ارجو شِفاءَ العللِ
لم اجد فيه لِتذكار الشباب أثرًا يُحيي دفين الاملِ
والحداءُ، في البلاد، يبعث الاشجان

لم أجد غيرَ امرِیءٍ فيه يجول يحمِلُ المِعْولَ والفأسَ معا
صِحتُ، والفكر تولّاه الذهول يا زمانَ الوصلِ هلّا رَجعا
والصدى
ردّدا
يا زمانْ، زمانْ

أيّها الحطّابُ قطّعْ في الشجرْ وادّخرْ من بينها الصلبَ الشديد
واضربِ المعولَ، وليقدحْ شرر كلّما أعملتَ في الصخرِ الحديد
ظافرًا
حافرًا
مُهجةَ الصوّان

واستعنْ بالناس، وادعُ العاملين من بني الوادي وفتيان الجبلْ

أنعشوني يا رفاقَ العاشقين طالَ ما أنعشتُ بالشعر الأمل

واعذروني

في شجوني

كلّنا إخوان

شيّدوا لي في ذُرى الصخر ضريح لم يُشيّدْ مثلهُ منذ القِدم

واجعلوا الاخشابَ نعشاً يستريح شبحُ الصَّبْوةِ فيه والألم

إجعلوا النعشَ كبيرا

إملأوا القبرَ زهورا

إفرشوا الأرض حريرا

فَهْوَ حبّي ،

وَهْوَ قلبي ،

لُفَّ بالأكفانْ .

١٩١٩

لبنان

أقت بلبنان زماناً حسبته نعيماً ، كذا في جنة الخلدِ ننعَمُ
على قمم تسبيك من كل جانب مناظرُها والسحرُ فيه محوّمُ
اسير وحيدًا شاردًا في ظلالها ومن حولي الاشجارُ ظِلٌّ مُخيّمُ
وللريح في الأوراقِ فوقيَ نغمةٌ وللشمسِ في الحصباء دوني تَبَسُّمُ
ومن تحت أقدامي وهاد كأنها طِرازٌ من الغابات أخضر مُعْلَمُ
وصنّين يبدو شامخًا تحت ثلجه كأن مراقِيه الى النجم سُلّمُ
مشاهدُ لو خُيّرتُ ما اخترتُ غيرها بعيدًا عن الإنسان والبعدُ أسلمُ
هنا كلُّ شيء طاهرٌ من شقائهِ له الحبُّ سورٌ والسلامة مِعصمُ
ولا حسدٌ فيها ولا حربَ حولها وليس بها لولا احمرارُ المسا دَمُ

النادي السوري في الاسكندرية

في حفلة افتتاحه بحضور رجال الحكومة المصرية

قل للذي بالأمس كان ينادي
أيكونُ للسوريّ يوماً نادِ

أيهبُّ من سِنَةِ الخمولِ فينتضي
هِمماً طواها اليأسُ في الأغمادِ

أتهزّه يوماً لأمرٍ نخوةٌ
وإذا دعا لبّاه ألفُ جوادِ

أبشرْ فبعضُ الحلمِ صحّ وحبذا
ما صحّ منه بعدَ طولِ جهادِ

إخوانَنا هذا هُو الطفلُ الذي
ولَدَ الزمانُ لنا على ميعادِ

إن لم نصُنْه بالتساهلِ والندى
لم نلقَ منه مبرّةَ الأولادِ

إخواننا عِظةُ الزمانِ بليغةٌ
لولا التآخي لم نفُز بمُرادِ
إخواننا ما ذاكَ مستشفى بهِ
طربي ومدرسةٌ لها إنشادي
جلَّ الذي ظفرَت بهِ آمالُنا
نادٍ ، فكونوا ذُخر هذا النادي
وتعهَّدوه بالعنايةِ وليكنْ
عهدَ اتحادٍ بينكم ووِدادِ
إن تثبُتوا فعزَّةٌ وكرامةٌ
أو ترجِعوا فشماتةُ الحُسَّادِ

* * *

يا مصرُ انتِ اليوم أشهى مطلبٍ
للنازحين وكعبةُ القُصّادِ
ينسى بكِ السوريّ بهجَةَ أرضهِ
وجبالِه في ظلّ هذا الوادي

لم يُرْوِ نيلكِ صادياً إلّا انثنى
وشعاره هذه البلادُ بلادي

ونجادُ سيفك يستطيل بامجدٍ
بطلٌ يُعيد مفاخر الاجدادِ

هذا فؤادُ الملك في صدر العُلى
يدعو له في الصدر كلُّ فؤادِ

١٩١٨



خليل باشا خياط

رئيس النادي السوري

في حفلة الاربعين

روحَ الخليلِ ، وليس في ذا النادي
مَن ليس يذكرُ للخليل ايادي

رفّي على هذي الرؤوسِ ، وعلّمي
مَعنى الخلودِ ، وألهمي إنشادي

مرّت عليكَ الأربعون ولم تزلْ
ذكراكَ شاغلةً لكلّ فؤادِ

كالكوكب الوقّاد تخبو نارهُ
ويظلّ نور الكوكب الوقّادِ

وفيت قِسطَكَ للعُلى فلئن تكن
عُرّيت من ثوب الحياةِ العادي

فلقد لَبِستَ الذكرَ عمراً ثانياً
لا خوف من هرمٍ له ونفادِ

لك في الحيـاة مواقف مشهودةٌ

كم صُلت فيها صولة الآسادِ

ومكارم لو رام شعري عدّهـا

ضاقت قوافيـه عن التعدادِ

لم يُنسِك الفقرَ الغِنى فذكرتَ ما

في العيش من تعب وطول جهـادِ

وبسطتَ للقصّاد كفّك جـاعلًا

للنفس حصّتَها وللقصّـادِ

كم من فتى أخنى عليـه دهره

وبك استطال على الزمان العادي

ومهدّدٍ بالسجنِ راعـك خَطبُهُ

فـأغثتَه ونجـا من الأصفادِ

لم تحمل القيدَ اليدانِ وإنمـا

في عُنقهِ قيـدٌ لفضلك بـادِ

ما جـاء نحوك حـائر في أمره

إلا وكنتَ لـه الدليل الهـادي

تسعى بـلا أجرٍ وحسبُك لـذةً

إن قلتَ يوماً إنـه ابن بلادي

حلو الحديث فـإن يضمّك مجلس

رويّت من خمر الحديث الصادي

وتقلّبُ النظر البعيـدَ فليس من

رأيٍ تجيء بـه بغير سدادِ

***

هذي صفاتك يـا خليل رثاؤها

فرض على الشعراء والنقّادِ

لو كنتُ اعرف بعضها لوجدتني

يوم الرحيل لهـا على استعـدادِ [1]

لولا مماتُك لم تزل مدفونة

كالدر في غور السكوتِ الهـادي

يحمي التواضعُ سرّهـا ويصونها

عن رائحٍ ألِفَ الثناء وغـادِ

---

(١) اشارة الى ان الناظم كان قد تمنع عن تأبين الفقيد يوم دفنه لجهله به.

لك صورة في الذهن صوّرها لنا

كرمٌ خرجتَ بـه عن الُمعتـادِ

نبكي ملامحَها وما نبكي سوى

رجلٍ ليوم كريهة وسدادِ

***

لمن الركائبُ بعد بعدِك تنتضي

ضلّ الدليلُ بها وحار الحادي

يتساءلون عن الخليـلِ وجاهـه

وحصافـة وضيافـةٍ ووداد

عفتِ الديارُ فـلا الخليل براجع

يوماً ولا عهدُ المنى بمُعادِ

***

أزعيمنـا المحبوبَ هذي ساعـةٌ

جئنـا اليكَ بهـا على ميعادِ

مِلءُ الصدور فما يهمُّ إذا خـلا

منك المكان بصدر هـذا النـادي

بيّضت بالعمل الكريم رحابه
فغدا عليك مجلّلاً بسوادِ

ومؤبنوك به يُجيبهمُ الصدى
من سفح لبنان لهذا الوادي

زوّدْ بني البؤسى جميلاً باقياً
واحملْ من الرضوان اجمل زادِ

١٩٢٢



اعتراف

(شعر طليق)

إنْ اكُن قد بحتُ يوماً بالهوى		فلانفـــاسِ السَحَرْ
بحتُ للريحِ التي تضحَكُ او تبكي		بـأوراقِ الشجرْ
بُحتُ للَيلِ الذي أسهَرُه		بين احلامٍ وذكرى
بُحتُ للعصفور إذ أنْشدُه ،		كلما غرَّد ، شِعرا

بُحتُ للنهر الذي يُصغي إليَّ
كلما مِلتُ بوجهي نحوه
صامتاً في جريه مُتئدا ،
إن اكن بحتُ فقد بحتُ به
للصدى

إنْ اكنْ أحببتُ حبّاً خالصاً
فلقد احببتُ فاكِ

٥

إن اكنْ احببتُ حباً مؤلماً

فهما

مُقلتـــاكِ

إن اكن أحببتُ حباً لا يطاقْ

فهُو ذاكَ الخصرُ مشدودُ النطاقْ

وهو ذاكَ الجيدُ والقد الرشيقْ

إن اكن أحببتُ حباً لا أفيقْ

منهُ ، فهُو الجسدُ

ناعم يتّقِدُ

قد تمتعت طويلاً

بجمالك

وشفتْ نفسي غليلاً

من وصالِكْ

وانا اطلبُ ذا اليوم وصولا

لخيالِكْ ...

ڤولكشتين ١٩٢٨

اسطورة نورية

ڤولكشتين ومعناها صخرة الغيوم ، جبل في النمسا يعلو عن سطح البحر نحوًا من الفي متر وفيه سهل فسيح ينبسط على مد النظر ويخترقه نهر غزير يقال له « الأديج الأعلى » وبعد السهل غاب فيه هضبة عالية شيِّد عليها فيما مضى من الايام قصر لم يبق منه سوى بعض الجدران المتداعية .

ولهذا القصر قصة غريبة يتناقلها سكان تلك الناحية ابًا عن جد وقد رواها احدهم للناظم بكل خشوع كما تروى اساطير الابطال والقديسين فنقلها الى العربية شعرًا طليقًا .

على جبلٍ تمشي الغيومُ بظلّه   وتجري بعِطفيه المياهُ جليدا
ويكتنفُ الغاب الكثيفُ ثغورَه   كأنَّ على تلك الثغور سدودا
ترى ما لڤولكشتين من اثرٍ باقٍ

أكان نبيلًا ام زعيمَ عِصابةٍ   فتى شاد ذاك القصرَ في الجبلِ الوعِر
فآثرَ أن يحيا بعيدًا عن الورى   فليس يُرى إلّا متى شاء ان يُرى
وتخدُمه أعوانُه خِدمةَ الدهر ؟

على كلِّ حالٍ لم يكن غيرَ والدٍ   أحبَّ ابنه والحب ينهى ويأمرُ
اراد لـه عمرًا طويـلًا ومِنعةً   ليجعـلَ منه سيّدًا ليس يُقهرُ
فلم يرَ خيرًا من مجـاورةِ النسر

ترعرعَ «أوسفالد» هناك وجسمُه يزيدُ نحولاً كلما زادَ حلمُهُ
فلم تُغْنِهِ فرطُ العنايةِ صحةً ولا نالَ ما يرجو أبوه وأمُّهُ
ولا كان في شُمّ الجبال له واقِ

رقيقُ شعورِ النفس، اما دموعُه فسَيْلٌ واما قلبُه فلهيب
تعشق ضربَ العود، يُطربُ غيرَه به، وتراه شاكياً متألما
كشمعٍ يُضيءُ الليلَ وهو يذوبُ

وكان على قربٍ من الحيِّ نسوةٌ من اللاء لا يعرفْن في الأرض موطنا
فيرحَلْنَ عن دارٍ وينزِلْن غيرَها وسرعانَ ما تُطوى الخيامُ وتُنشرُ
فيعْمُرُ حيٌّ ساعةً ثم يُقفِرُ

سوافرُ، لا يعرفن وجهاً محجباً ولكنَّ دونَ النفسِ ألفَ حجابِ
وإن ذُكِرتْ أنسابُهن فلا ترى انتساباً لغيرِ الماء والريحِ والثرى
وما نقلوا عن دفترٍ وكتابِ

يُزاولن علمَ الطب والبختِ حرفةً فيعلمنَ منه غيرَ ما الناسُ تعلمُ
ومنهن مَن يطرقن باباً لخدمةٍ فيأتين باسم مستعار، لانه
تُقدَّس اسماءُ لهن وتُكتم

كذا نزلتْ في القصر منهنّ مرةً   عجوزٌ تحلّت بالذكاء وبالحِلم
رأتْ ما بأوسفالدٍ فقالت لأمّه   ألا ان هذا الداء سهلٌ دواؤه
ويا بَرْدَ ما قالت على كبدِ الام

«سأكتبُ سحرًا في يديه يصونهُ   ويمنعُ منه القلبَ ان يتأثرا»
«فلا يصلُ الحزنُ الخفيُّ لقلبه   ولا يذهبُ اللحنُ الشجي بلُبّه»
«وإن مسّ عودًا، في يديه تكسّرا»

وحققتِ الايامُ صدقَ مقالِها   فودّعَ اوسفالدُ الاسى والاغانيا
وأنساه هجرُ العودِ كلَّ صبابةٍ   فبات عن الأشعارِ بالصيد لاهيا
فلا القلبُ خفّاقٌ، ولا الجسمُ ناحِلُ

واصبح اهلُ القصر حولَ اميرهم   وأوقاتُهم وقفٌ على اللهو والأُنسِ
وقد حسبوا الماضي دفيناً، وما دروا   بأن حياةَ المرء رهنٌ بما مضى
وأن غدًا من صُنع يومِك والأمس

فيا لكَ من قلبٍ مع الدهر قُلّبٍ   تسيرُ بك الاهواءُ في كل مذهبِ
فلا انت عند القرب حرٌّ ولا النوى   تحاولُ أن تسلو وفيك من الهوى
عواطفُ، إن حُمّ القضاء عواصفُ

تمرّ بك الساعاتُ والفكرُ سابحٌ بتيّارِها مستقبِلاً ومودّعا
تحيّيه منها موجةٌ إثْرَ موجةٍ ويبدو له التَذكارُ حيناً فيثني
الى شاطىء التَذكارِ يطلبُ مرجعا

فلا كان ليلُ شاق اوسفالدَ بدرُه وما نال من صيد النهار مَراما
فألهاه عن أتباعه ورفاقِه فآثر ان يبقى وحيدًا، وأمرهُ
مُطاعٌ، فعادوا دونَه وأقاما

هنالك ما بين الخمائلِ والرُبى مشى صامتاً والفكرُ حيرانُ شاردُ
وفي صدرِه سرٌّ من الوجد لم تُبحْ به بعدُ اعصابُ الشباب الرواقدُ،
وحاجةُ نفسٍ ليس يُدركُ ما هِيَه.

ومن حوله روحُ الوجود كأنها تناجي صباه في النسيم وفي الزهر
وفي البدر فوقَ الماء يرقصُ نورهُ وفي النهر خلفَ الغاب نام خريره
وفي كل ما يُوحي له الليلُ من سِرّ

فما هي الا لحظةٌ وإذا به يُفيقُ على صوت من الغاب مُقبلِ
غِناءٌ شجي لم يكن في حسابه فغار على الباقي له من صوابه
وحوّم بالذكرى على قلبه الخلي

فأسرع نحو الصوت والغاب مُغلَقٌ   ومن دونه الاغصانُ مشتبكاتُ
كأنْ لم يكن قبلًا شقيًا بدائه   ولا اعترضتْه غيمةٌ في سمائه
فماتت على اوتاره النغماتُ

هنا لا بد من تتمة الحديث نثرًا لضياع باقي القصيدة ، والذي اذكر ان اوسفالد ابصر مشهدًا لم تقع عيناه من قبل عليه : فتاة كأنها من الجان او حور الجنان وسط خميلة من الورود البيضا. تنقر على القيثارة وتغني وترقص فبهره منظرها على ضو، القمر واحسّ ان سهماً قد اخترق صدره هو انقضاض الصاعقة كما يقال . وذعرت الفتاة عندما رأته ولكن أفرخ روعها عندما سمعت نغمة صوته العذب وهو يحييها فمالت اليه ومال اليها وسرعان ما استأنست به فتبادلا الحديث ، وصار يختلف اليها كل ليلة فيسمع نشيدها ويشاركها في النقر على العود ثم يبثها حبًا دفينًا وشوقًا كمينًا الى ان عرض عليها الزواج فقبلت .

كل هذا وهو لا يعلم عنها شيئاً ولا يعرف اسمها لانّ للنَوَر عادات وتقاليد فحياتهم غامضة واخلاقهم مجهولة واسماؤهم مكتومة عن الغريب ، وقد تسمي الواحدة نفسها حنة او هيلانة او غير ذلك ويبقى اسمها الحقيقي سرًا من الاسرار . وكثيرًا ما يُعرض عليها الزواج من غريب فترفض ولو كان الخاطب اميرًا ، لان للنَوَر ملوكاً وامرا. فهم في حياتهم التائهة لا يغرّهم مال او جاه ولهم ارستوقراطيتهم .

ولكن الظاهر ان الحب هنا كان من اعظم العوامل التي جعلت الفتاة تخرج على تقاليدها ، على انها أبت ان تبوح باسمها لاوسفالد الا بعد الزواج .

اما امه فخافت عليه اذا هي عارضت في هذا الزواج وضربت موعداً له صباح الاحد وانتشر الخبر في البلد ففرح الجميع لاميرهم وأخذوا يستعدون للعيد .

وكانت ام اوسفالد قد انتهت من اعداد هدية العرس وأحبت ان تنقش عليها اسم العروس ، ولم يبق لميعاد الزواج سوى يوم واحد فلم ير اوسفالد بدًا من الذهاب الى الغاب ، وهي نزهة تعودها كل يوم ، عسى ان تلينَ حبيبته فتبوح باسمها . فما تجاوز غير بعيد حتى رأى بعض البدويات وقد اجتمعن للحديث فاذا بواحدة منهن تلفظ اسمه وتقول لجاراتها « غداً تُزف أرتِموِيا الى اوسفالد » أرتموِيا . إذن هذا هو الاسم المحبوب ، ارتموِيا ! ما اعذب هذه اللفظة والطفها وقعاً على السمع . ارتموِيا ! يا لها من صدفة سعيدة اعطته مفتاح السر . وبدلًا من ان يعود ادراجه ليطلع امه عليه ، احب ان يكمل طريقه الى الغاب ليفاجئ حبيبته وهو يظن انه فتح فتحاً مبيناً . فلما انتهى اليها وصار على قاب قوسين او ادنى صاح ارتموِيا فأجفلت الفتاة وعلا وجهها اصفرار الموت وقالت بحزن يساوره شيء من الغضب عرفت اسمي فلا يمكن ان اكون لك . وقبل ان يحير جواباً ناولته القيثارة واسرعت في الفرار وهي تقفز كالظبي وهو يجد في اثرها حتى وصلت النهر فغطست فيه وغطس وراءها واختفيا في عباب الماء .

واشرقت شمس الاحد وقرعت اجراس العيد واقبل القوم على الكنيسة وكلهم مشتاق لرؤية العروسين وكانت الورود البيضاء تملأ الكنيسة من باحة الدار الى الهيكل ، والعروسان في الوسط ، جثتان هامدتان على سرير من الازهار ، وبينهما قيثارة مقطعة الاوتار .

فولكشتين ١٩٢٠

انا وانتم

خطاب القي في الجامعة الاميركانية في بيروت
سنة ١٩٢٤ في حفلة مع مي زيادة جاء في مطلعه :

يا ميُّ هذه ساعةُ الميعـاد
فسلي فؤادكِ عن خفوقِ فؤادي
بي مثل مـا بكِ ، وحشةٌ وصبابةٌ
مـا بين لُقيا ساعةٍ وبعـادِ
تمشي الى الوطن القديم خواطري
فتردّهـا الذكرى لذاكَ الوادي
وارى جلالَ سناكَ يا أفقَ الهدى
فأحارُ بـينَ الصمتِ والإنشادِ
قد جئتُ احمِلُ من جديد تحيتي
لكَ ما يُحدّثُ عن قديمِ ودادي
وأعيدُ احلامَ الصبا بك بعد ما
مرّت ، ومـا عهدُ الصبا بمُعادِ

ولقد هجرتُ الشعر حتى عفّني
وبكَ استعنتُ فنلتُ بعضَ مرادي
وأصبتُ من وحي الشبابِ بقيةً
فنظمتُها لشبابِ هـذا النادي

وختامه :

قالوا لقد شاخَ الزمانُ وما دروا
أن الحياةَ جديدةٌ لا تهرمُ
وهي الغنيّةُ ، ما شكا من فَقرِها
الا فقيرُ القلب يُعوزُه الدمُ
يا هادمَ الآمال ماذا تبتغي
بُنيانه بدلًا بها إذ تُهدمُ ؟
اليأسُ مجلبةُ الخمولِ فلا تقلْ
عمرٌ يزول ، اذا عداكَ المغنمُ
ما القبرُ غاية كلّ حيّ مثلما
زعموا ، فللانسان غايٌ اعظمُ :

أن يملأَ الايامَ من أعمالِه

فتظلُّ بعد سكوتِه ، تتكلمُ

* * *

إخواننا ألعُمرُ اوسعُ مطلبا

من أن يضيقَ به الفتى المتعلمُ

إن كان في النسَبِ التفاضُل فالورى

لا يعلمون مَنِ المفضَّلُ منهمُ

تلك الرؤوسُ ، وهذه تيجانُها

صاغت حُلاها في التراب الاعظُمُ

او كان بالمال الفَخارُ ، من الذي

خَلقَ الجديدَ لباسُه والمطعمُ ؟

بعناصر الكَونِ امتزجتَ ، فأنتَ من

فضلاتِ غيركَ آكلٌ تتنعَّمُ

واللذةُ الكبرى اذا حققتَها

هي ما به أفتى ضميرك لا الفمُ

او كان للدين التطاحنُ بيننا

فـانا مسيحيٌ كما انا مسلمُ

لو يعـلم الانسانُ مـا يسطيعُه

بالحبّ ، لم يك في البريّة مجرمُ

الحبُّ أعذبُ ما يُقال ويُشتهى

وألذُّ ما نظَم الزمانُ ويَنظمُ

فتمسكوا بصِلاتـه ، وترنّموا

بصَلاتِه ، وانا السعيدُ وانتمُ



معهد العلم

قيلت في حفلة متخرجي الجامعة الاميركانية
في الاسكندرية يوم الاكتتاب المشهور.

معهدَ العلم وصرحَ الادبِ
ايّ فضلٍ منك لم يُكتسبِ
جئتَ للخير رسولاً ، ناشرًا
بين اهل الشرق عِلمَ المغربِ
حاملاً ، في ظلمة الفكر ، لنا
شُعلةً من قلبهِ الملتهبِ

ايها الربعُ الذي أحببتُه
وانا عنه غريبُ النسبِ [1]
كلما عاودني ذكرُ الصبا
هزّني نحوك شوقًا طربي

١) اشارة الى انه لم يتخرج منها .

وبدا رسمُك في ذهني كما
أنت في مخضرَ تلك الهضَبِ
فمن البحر بساطٌ ازرق
ومن الرملِ وشاحٌ ذهبي
وعلى رأسِكَ نورٌ خالدٌ
من توالي رصدِهِ للشهُبِ

***

كلما عاودني ذكرُ الصبا
مرّ بي ذكراكِ عندَ المغربِ
فاذا الزوّارُ في ناديك قد
ملأوا صدرَ المكانِ الرحبِ
وبنوك الغرُّ من حولك في
حلقةِ الفضلِ ورَهطِ الادبِ
واذا المنبرُ يهتزُّ لهم
طرباً للشعر او للخطبِ

ومن الجمعِ هُتافٌ صاعدٌ

ملؤه الإعجابُ قبل العجبِ

ها هنا النبعُ الذي يسقي النهى

واذا لم يَسقِها لم تُخصبِ

لك في التعليم نهجٌ لم يدَعْ

طالباً يقعُدُ دون الطلبِ

يدرسُ الاخلاقَ في استاذِه

قبلَ ان يقرأها في الكتبِ

انت رمتَ العقل حرّاً مطلقاً

لم يُقيّدْ بقيود المذهبِ

واردتَ العلمَ مبنياً على

حِرمةِ الصِدقِ وكرهِ الكذبِ

وجعلت الحبَّ ديناً واحداً

في حِمى موسى وعيسى والنبي

* * *

يا لواءً يخفقُ اليومَ لـه
جانبَ الافرنج قلبُ العربِ

كم مشى في ظِلك السامي فتى
شيخُ علمٍ وهو في العمر صبي

من رُبى لبنان طِفت الارض ، لا
غـازيًا ، بل هاديًا كالكوكبِ

ان ذا اليوم اكتتابٌ للعُلى
فادعُ من شئت له يكتتبِ

كلُّ دَين قـد يفيه ذهبٌ
غير دَين العلم ، فوق الذهبِ

* * *

قل لمن يسأل عن أنسابنا
نحن من يرضيك عند الحسبِ

امّنا هذي ، وما أحلى اسمَها
وشعارَ المجد هذا : اي يو بي
A. U. B.

هدية

اهداه صديق سلسلة وقلماً من ذهب
مع صندوقة ادوية نقالة فكتب اليه :

أهديتني قلماً عليك وقفتُه فلغير مدحك لا يجرُّ اناملي
أهديتَ سلسلةً غدت رمزًا الى قلبي الذي قيَّدتَه بسلاسلِ
أهديتَ أدويةً تعودُ على الذي أسقيه باسمك بالشفاء العاجلِ
ما لي وجودُكَ هل يُجاري سيلَه شعري وقد اغرقتَه في الساحلِ
حسبي صداقتك الثمينةُ إن تدُمْ وأُعيذُ مثلكَ من ودادٍ زائلِ

١٩٠٦

اخي

قيلت في حفلة الاربعين التي اقيمت للمرحوم الياس
فياض في التياترو الكبير بيروت سنة ١٩٣٠

أأخي ، بكوكَ وأبنوكَ وأبدعوا
لكنّ قلبي لم يزلْ يتوجّعُ
أصغي إلى إنشادِهم ، فيطيبُ لي
وأفيقُ من سحر البيانِ فأجزعُ
مالي وللأيام فيك أعدّها
كلُّ الزمان تذكّرٌ وتفجّعُ
أبدًا أراكَ على فِراشك ، والضنى
يسقيك ملء كؤوسه ويجرّعُ
فمن النعاس على جفونك غمرةٌ
ومن الشحوب على جبينك برقعُ
والجسم منحلُّ العزائم ، مُثقلٌ
بالداء ، مكلومُ الفؤاد ، مضعضعُ

* * *

أبدًا أراكَ على فراشك صابرًا
ويكادُ يَعصيك اللسانُ الطيِّعُ
وتودُّ لو عــاد الزمانُ مسالمًا
يُعطيك من بسَماتِه ما يمنعُ
لتعيدَ عهدًا لليراع سما بــه
للزُهر تنظمها لنــا وتُرصّعُ

* * *

ابدًا أراكَ وأنت تنظر لي وفي
نظراتك النبأُ الـذي لا يخدعُ
وتبيتُ تسألني ، ونبْضُك هــاربٌ
من أنملي ، هل في شفائك مطمعُ ؟
وأرى دبيبَ الموتِ فيك فانحني
متبسّماً ، وحُشاشتي تتقطّــعُ

* * *

أبدًا أراكَ ، ويا لها من رؤيــةٍ
نزَل القضاء وكان ما اتوقّعُ
قد أطبقَتْ منكَ الجفون ، وعُطِّل
القلبُ الحنون ، وغاضَ ذاكَ المنبعُ

فطويتَ يا رسمَ الحبيب، وكنتَ في
الأفقِ الرحيب مع الكواكب تلمعُ
نثروا الزهورَ على السريرِ وكفّنوا
جسدًا ثوت فيه المكارمُ اجمعُ
بل هيكلًا هجرَ الإلهُ مقامَه
فيـهِ فأصبحَ وهو قفرٌ بلقعُ

* * *

يا ايها الألمُ الذي لا ينتهي
يا ايها النيرُ الذي لا يُخلعُ
يا مِنجلًا بيد الليالي مُرْهفاً
يمشي على آمالِها ويُقطّعُ
إن كنتَ ذا ظمإٍ فهلّا ترتوي
او كنتَ ذا نَهَمٍ فهلّا تشبعُ
تَلوي على الجبل الاشمّ فينحني
وتمرُّ بالبحرِ الخضمّ فيخشعُ
وجماجمُ الاجيالِ تحتكَ تشتكي
وإليك من ظُلماتها تتطلّعُ

كم غارةٍ لك في الشبابِ دفعتها
والیوم جئتَ ولا شبابٌ يَدفعُ
لم يبق من شمسي شعاعٌ ضاحكٌ
فانشرْ غيومَك ما تشاء وتطمعُ

* * *

يا شاعرَ الاحساس كم من شاعرٍ
بلغَ السُهى ، في الترب مثلك يُودعُ
يخفي ظلامُ القبر طلعـةَ وجهه
ولروحــه في كلِّ أفقٍ مطلعُ
روّيت عصرَكَ بالدموع ، فاصبحت
منها كؤوسُ الشاعرية تُترعُ
وأضفتَ للقيثارة الكبرى بها
وترًا ترنُّ عـلى صداه الاضلعُ
ما ادمعُ الشعراء غيرَ عواطفٍ
غنّوا بها بؤسَ الحياة وسجَّعوا
يُغذَوْن مـن دمِهم فيسبقُ شاعرًا
في سكبِه لهمُ وآخر يتبعُ
وتفرَقُ الاقدارُ بين عِظامِهم
حتى اذا بلغوا الخـلودَ تجمَّعوا

أأخي عهدتك للقوافي حافظًا

عهدًا ، وهـذا يومُها أفتسمعُ

تشتاقُ منك هَزارَها الصدّاحَ في

النادي ويوحِشُها الخطيبُ المصقعُ

نظمَ الوفاءَ بديعَها لك مثلما

قد كنتَ تنظم للوفاء فتبدعُ

من لي بروحِكَ أن تُشارفَ منطقي

ويضمَّهـا نحوي الفضاءُ الاوسعُ

لأقولَ فيكَ وفي الثناء عليهم

شعرًا يُردده الصدى ويُرَجِّـعُ

أيْ عصبةَ الادبِ التي احببتُها

حيِّ له ولعلَّـه بي يشفعُ

حمّلتموني في مصابي مِنَّـةً

ثقلَتْ عليَّ فما اقول واصنعُ ؟

مَلَكَ الأسى قلبي ، وأعيى شكرُكم

لُبّي ، فليس لديَّ الّا الادمعُ

١٩٣٠

ومن قصيدة في ختام خطاب :

لي صيحة حُبست بقلبي الدامي فنسيتُ من ألمي بها آلامي
وطني يُهدّمه الشقاء ولا أرى كفاً تطيحُ بِمِعْولِ الهدامِ
الطائفية قطّعت اوصاله وسياسة الاحزاب والارحامِ
نفخ التعصب فيه اسوأ نافخٍ ورماه بالتفريق ابشع رامِ
و كوارث الحدثان لم تترك له من جسمه الجبار غير عظامِ
اخواننا طال الكرى افيقظة تجلو ظلام الشك والاوهامِ
لنرى حقيقة ما يجر من الاذى بغضُ القلوب وفتنةُ الاحلامِ
ما أخطأت هدفَ المعالي أمةٌ حلت مشاكلها بغير خصامِ
ايخيبُ شعري عندها وانا الذي ارسلته فيها رسول سلامِ
روّيت من نبع الاخاء قريحتي وجلوت في ضوء الرضى الهامي
لي في هوى وطني كتاب خالد يبقى على المكتوب من ايامي
سجّلتُ نصرانيتي في متنهِ ونشرتُ بين سطورهِ اسلامي
فاذا دعوت الى الوفاق فانني ادعو بحق الحب وهو مدامي
أفرغته في مِقْولي ويراعتي وجعلتُ منه بدايتي وختامي

تمثال الامير

قيلت في خلده عند رفع الستار عن تمثال الامير فؤاد ارسلان

أرأيته وقد استوى الصّدّان صلب الجماد ونضرة الانسانِ ؟
شمسُ الأصيلِ تلوحُ في بُردَيهِ، ام هو نورُه طفحَتْ بهِ العينانِ
ام تلك نارُ ضلوعِهِ رُدّتْ له في المعدنِ المصهورِ بالنيرانِ ؟
يا حاملاً لبنان طيَّ فؤادِهِ هل كنتَ الا القلبَ من لبنانِ
هذا مثالك ، والضريحُ إزاؤه فكأنهُ فوزٌ على الاكفانِ
فوزٌ على لحدٍ طواكَ فما طوى الا الترابَ بظلمة النسيانِ
ولئن صمتَ فدون صمتك لم يزل صوتُ الخطيب يرنُّ في الآذانِ
حتى يخالَ الناظروك بأنهُ شفتاكَ هذا اليوم تختلجانِ

* * *

أفؤادُ والاخلاصُ فيك سجيّةٌ أنظرْ ترَ الإخلاصَ في الاخوانِ
يوم الرحيل بكوكَ واحتفلوا لهُ واليوم للقيا احتفالٌ ثانِ
سلبتك منا الارضُ في آذارها فغلبتَها ورجعتَ في نيسانِ
واقتَ في صحراء خلدةَ هيكلاً للمجد يرعى نورَهُ القمرانِ

ترنو الى البحر المحيط محدثاً كالموجِ عما فيك من جيشانِ
وتبثُ في الغاب الخليِّ كوامناً من حرقةٍ في صدرِكِ الولهانِ
أعيِ اباطِيلَ الحياةِ وردَّها حبٌ تأصل فيك كالايمانِ
حلَّقتَ في آفاقهِ متجاهِلاً خطرَ الصواعقِ وهي منك دوانِ
وكذا السياسةُ لا تراعي صاحباً جعلَ الكرامَةَ فوقَ كلِّ مكانِ

* * *

أهلَتْ بقربكِ خلوةٌ أحببْتَها فكأنها ملأى من السُكَّانِ
في جوِّها وصخورها ورِمالها أثرٌ من المعروفِ والإحسانِ
يفِدُ الحجيجُ إليك تحت لوائها مستمطرين سحائبَ الرضوانِ
يتذكّرون وهم وقوفٌ خُشَّعٌ في ساحَتيك، مواقفَ الشجعانِ
ايامَ كنت، وأنتَ في نوّابهم سيفٌ رقيقُ الشفرتين يماني

* * *

اليوم سالَمكَ الزمانُ فبتَّ في حَرَمٍ تُصانُ به مِن الحِرمانِ
فتطيبُ روحُك في رُبى لبنانِها وترفُّ في الوادي وفي البستانِ
تُلقي على الأوطانِ درسَ مجاهد لم يرضَ غيرَ العز للاوطانِ
درْس اذا فات الشيوخَ بأمسهم فغدا يُردِّ صداه في الفتيانِ :

لبنانكُم وطنُ الجميع فوحّدوا مسعاكمُ فيه إلى العمرانِ
لا تفرُقوا درزيّه عن جارِه لا مسلمٌ فيه ولا نصراني
أفؤادُ نحن على ولائك لم نزل يرعى القصيَّ عهودَه والداني
يُفني الزمانُ الجسمَ ، اما ذكرك الغالي فليس على الزمان بفان



زهرة الاحسان

قيلت في حفلة المدرسة السنوية وكان الناظم قبل مغادرته بيروت طبيباً للمدرسة

لي غادةٌ حسناء ، روميّةٌ عرباء ، فتانةُ الاسماء ، قلبي بها ولهانْ
قد مرّ من عمري عشرون في الهجر ، ولم يزل فكري بذكرها نشوانْ
اتيتُ ناديها فلم اجدْ فيها ، من حُسن ماضيها شيئاً على نقصانْ
تثقفُ الاحلام ، وتحضُنُ الايتام ، وتنشرُ الأعلام للبرّ والعرفانْ
أربَتْ على الخمسين ، ولم يشبْها شين ، وشبتُ قبل الحين ، وهي كالشبانْ
إنْ انكرتْ رسمي ، ما انكرتْ نظمي أي معهدَ العلمِ ، كم فيك لي من شانْ
هل تذكرُ الطبيب ، ام تذكرُ الخطيب ، كلاهما كئيب ، مما تقاسي الآنْ
من ضيقِ بنيانِكْ ، من عُري جدرانكْ ، من فقرِ سكّانك ، من قلة الاعوانْ
فلينظر الغريب ، وليذكر القريب نظافة الحبيب ، ليست من الايمانْ
يا معهد التعليمْ ، وموطنَ اليتيمْ من مجدك القديمْ ، نورٌ على لبنانْ
لَوْ أن اقوالي تغني عن المالِ نظمتُ للحالِ في وصفه ديوانْ
دومي على الدهرِ ، مرفوعة القَدرِ محمودَة الذكرِ ، عابقة العِطر
يا زهرَة الاحسانْ

ومُثلت في زهرة الاحسان رواية الحبل في العنق فقال فيها وفي الممثلات :

في زهرة الاحسان عطرٌ نـاعم تفنى عطورُ الزهر وهو البـاقي
ما استنشقت روحي شذاه مرة الا ذكرتُ الله في استنشاقي
وحمدتُ مدرسة الى أحضانهـا يأوي شهيدُ البؤس والإملاقِ
طَبعتَ على صدرِ اليتيم خَيالها وحَوتْه من الحاظها بنطاقِ
فضلوعُه في غرسها ، ودموعُـه في كأسها ، والروحُ في الاوراقِ
وممثلاتٍ عطّرتْ انفـاسُها أنفاسَهنَّ فزِدن بـالاحراقِ
طاف الجمالُ بهنّ فهو مخيّمٌ في الثغر والوجنات والاحداقِ
يختـالُ بالادب الصحيح لواؤه وبزينـه تهذيبُهنّ الراقي
والحسن في الاجسام غيرُ مُتمّمٍ إن لم يتمّ الحسنُ في الاخلاقِ
اسمعنني نغمَ البلابل في الربى فازددتُ اشواقـاً على اشواقِ
وسكرتُ من خمر الصبابة بعدما ذهبَ الشبابُ بها وملّ الساقي
فعرفتُ بعد تجاهلي أن الفتى ما عاش رهن فؤادِه الخفاقِ
وغدوتُ بعد «الحبل في العُنُقِ» أمرأً يهوى بقـاء الحبل في الاعناقِ

المدرسة الاهلية

(في حفلتها السنوية)

دعيني من الجيدِ والمِعْصم ... ولحظٍ سلَلتِ فلم ترحمي
ولا تذكري لي رماحَ القدود ... ووردَ الخدودِ ودرَّ الفمِ
هو الحسنُ في العقل قبلَ المُحيَا ... فحلّي حديثك ثم ابسمي
ومن خُلقٍ ناعمٍ فالبسي ... حريرًا على الجسد الأنعمِ
ولا تأمني نضرةً في الخدود ... اذا هي للقلب لم تنتمي
وحسبُكِ يا هند روحٌ ترفّ ... من الطُهر في ثوبها المُعلمِ

* * *

فتاةَ بلادي دعاني الوفا ... فجئتُ اليك بقلب ظمي
اردّدُ ذكركِ في خاطري ... وأنشدُ روحَكِ في الانجمِ
واصبو لربعٍ عليكِ حنا ... يُغذّيك من روحه والدمِ
رضعتِ به العلم ملءَ الجنان ... فحان لكِ اليوم ان تُفطمي
وكل فطامٍ له موسمٌ ... وهانذا جئتُ في الموسمِ

أذوق بك الادبَ المستطاب   وارشفُ من كأسكِ المفعمِ

وأنشد يا ليلُ فيك النعيمُ   فبالله يا صبحُ لا تهجمِ

ولولاكِ لم يحلُ لي مِنبرُ   ولا كنت بالشاعر الملهمِ

تبلّج ثغرُكِ عن دره   فأومض في فكري المظلمِ

نظمت لعيدكِ منه العقودَ   وكم مرّ عيدٌ ولم انظمِ

ألا يا حمائم وادي الجميل   جميل بواديك ان تنعمي

عليه تعلمتِ أن تخفقي   ومنه تعوّدتِ ان تحلمي

وعشُك فيه ، فلا توحشيه   بهجرٍ طويلِ المدى مؤلمِ

تزوّدتِ منه كريمَ المُنى   فعيشي بذكرٍ له اكرمِ

وطيري على ضوئه في الحياة   وعودي الى ظلّه فاحتمي

ومن حبّه فخذي جُرعةً   لحبِّ بلادك تُروي الظمي

فكلّ دروسك ليست تُفيد   اذا هي بالحبِّ لم تُختَمِ

مهرجان المتنبي

خطب فيه الناظم في « هل كان المتنبي مجددًا » وتجد خطابه في الجزء
الثاني من « على المنبر » وقد بدأ خطابه بهذه التحية لدمشق .

لبنانُ يسكبُ في جُفون الشام قُبلًا كذَوب الطلِّ في الآكامِ
قُبلُ الشقيقِ الى الشقيق حملتُها ومزجتُ فيها صَبوتي وهُيامي
قالت تحبُّ الشام؟ قلت وهل سوى بَرَدى يبرِّد يا شآم أوامي؟
الشرقُ شرقي اين لاحت شمسه ودمُ العروبة في دمي وعظامي
« لي في هوى وطني كتاب خالدٌ يبقى على المكتوب من ايامي »
« سجَلتُ نصرانيتي في متنه ونشرتُ فوقَ سطورهِ إسلامي »

* * *

اتقوم سوقُ عكاظ تحت سمائها واعافُها وابنُ الحسين امامي
هو ثار ثورته ، فهل من شاعر ليعيدَها في دولة الاقلامِ
نبغي الجديدَ وما الجديد بنافع ان لم يكن في القول والإلهامِ

وختم هذه الابيات بلسان المتني :

سفرة في الحياة

يا لعُمرٍ مشيا فيه معاً :

جسدي النازلُ من شهوته سأمَ العارِ وروحي الساميه

يا لعمرٍ مشيا فيه معاً .

مشيا ، كلٌّ الى غايته مثلَ خَصمين ، ولم يختصما

فهو لا يشبعُ من لذّته وهي ، لا تعرفُ الا الألَما

يا لعمرٍ مشيا فيه معاً .

المعاصي من نصيب الاولِ وكفافُ الزُهدِ حظُّ الثانيه

غرّه المالُ وطيبُ المنزل وبها سرٌّ دفينْ

وحنين

لسماء البادية

وحديثِ الساقية

والليالي الصامتات النائيه

يا لعُمرٍ مشيا فيه معاً .

عاش من أطماعه في لجب بين شك وحذر

وقعود وسفر

وتحدٍ للقدر

يتباهى ، طالباً مُلكاً وجاها ، وُحلاها

زهرة من ادب

هي فخر العرب

يا لعمر مشيا فيه معاً .

أبغضَ الناس كثيرًا واحبا واراد العيش حربـا

قـلم ينفث سحرًا وفم وحسامٌ ليس يرويـه دم

وعتابٌ وهجاء

ورضى بعد جفاء

فهو ما بين السحابِ والترابِ يتقلبْ

وهي من خلف الحجابِ تتعذبْ

يا لعمر مشيا فيه معاً .

إن يكن في سيره ضلَّ السبيل ورماهُ الطيشُ في ليلٍ عنيف
فهي لم تبرحْ مع الافقِ الجميل تسحَب النور على ذيلٍ عفيف

يا لعمرٍ مشيا فيه معاً .

رفعته فهوى

قوَّمته فالتوى

ضاع منها في أعاصير الهوى

فاذا ما حملتْ معْه ذنوبَهْ فهي لم تبرحْ من الله قريبه

ولقد مات غريباً

مثلما عاشت غريبة

جسدي النازلُ من شهوته سُلَّمَ العارِ وروحي السامية

مبضع وقلم وسيف

رثاء الدكتور نجيب صلبي حاكم الفليبين

يا شعرُ جُدْ بندى رطيبِ أُروي بـه قبرَ النجيبِ
قالوا غريبُ الدار غابَت شمسُه قبـلَ الغروبِ
قلتُ الذي ملك البيـانَ وكان مفخرةَ الشعوبِ
ومشى اسمُه في كلّ قطرٍ لا يُسمَّى بـالغريبِ

* * *

مـا القبرُ في حجر يقام وزُخرفِ الفنّ العجيبِ
هو للبطولة حين تُنشد في الخواطر والقلوبِ
فينيرُ من افـقِ الضمير دُجى المشاكلِ والخطوبِ
ويخـط نهجاً للأديب اذا التوتْ طرقُ الاديبِ

* * *

إني ارى حـدَّين يَسْـ ـتبقـانِ في كفّ الطبيبِ
قلمٌ يسيل ، ومبضعٌ ما جفَّ إلا عن خضيبِ
هـذا الى الجسم المصابِ وذاك للرأي المصيبِ

قطراتُ حبرٍ او دمٍ نزلَت على تُربٍ خصيبِ
سوداءُ او حمراءُ غا يتُها القضاءُ على العيوبِ
عَلَمُ النبوغ يرفُّ باللونين ، في الافق الرحيبِ

* * *

يا موحشاً لبنانَه من قبلِ ذا السفَر الرهيبِ [1]
انا إن رثيتُك لا اقلّد او أبالغ في النحيبِ
لا البدرُ هاوٍ من ذُراه ولا الطبيعةُ في شحوبِ
لكن لحناً للمكارم نام في الوترِ الطروبِ
يتألمون له اذا افتقدوك في اليوم العصيبِ
هي دمعةٌ جُمدَتْ على شَفَةِ المرتّلِ والخطيبِ

* * *

في ذمة التاريخ ما قدّمتَه يا ابن الصليبي
علماً واقداماً وتضحيةً وحباً للقريبِ
ذكر يُطل من الحبيب مجدّدًا رسمَ الحبيبِ
يمشي على نغماتِ عودٍ او على نفحاتِ طيبِ

---

(١) اشارة الى طول اقامته بعيدًا عن لبنان

الليل

نُظم قسم منها في بيروت في خطاب للمرحوم نجيب مصور وقد
كلّفه بها ثم زيد عليها والقيت في مصر في خطاب عن الألم .

يا فحمةَ الليل ، كم اضرمتِ بي نارا
وهجتِ تحت رماد القلب اسرارا

وكم سدَلتِ على عيني ستارَ وحي
وما رفعت لعين الفكر استارا

هل انتِ يا ظُلماتِ الكون شاعرةٌ
بحرِّ انفاسِ صبٍّ فيك قد حارا

بشاعرٍ هام في نجواكِ مُلتمِساً
وحياً ليملأَ سمعَ الدهر اشعارا

الكون في حِضنِك الهادي ينام وفي
جنبيّه قلبٌ حماه النومَ مختارا

من دونك البحرُ عمقاً والسما سعةً
والصمتُ صمتُكِ نام الكون أوْ ثارا

والموتُ اقرب شيء شبهوك به

لو ان للموت إقبالًا وإدبارا

هذا جبينك لا طيٌّ يجعده

وكم طويت به ناساً واعمارا

تنهداتُ الورى ، ما تصنعين بها

قولي وهل تحفظين السرَّ أدهارا

وما تقول لك الاحلام طائرةً

من الجفون اذا طيف الكرى طارا

واين تخفين نورَ الساجات على

متن الاثير اذا ما عرشك انهارا

تغوصُ في بحركِ الداجي وتطلَعُ ام

تطوي الى الشاطئ المجهول ابحارا ؟

* * *

يا ليلُ ، يا ليل ، كم ناداك من طرب

صوتُ المغني فما حرّكتَ اوتارا

ان كنتَ للراحة الكبرى خلقتَ فكم

أرحتَ عيناً وكم أتعبتَ افكارا

وكم قتلت ضميراً كان يخفقُ في

جوِّ النفوسِ فغارت عندما غارا

ليلَ المحبين هل هذي عيونُهُم

ناموا فأطلعتها في الليل اقمارا

وهل تُطلُّ على الآلامِ بعدَهم

ام تُرسلُ النور للاحباب تذكارا

* * *

ترحزحي يا غيومَ الافق وانقشعي

وأرسلي يا عيونَ الافق انوارا

بل فاحمليني على اشباه أجنحةٍ

حتى ارى غيرَ دار البؤس لي دارا

اودّع القطعةَ اللحمَ التي اسرتْ

روحي وأصبح في الآفاق سيّارا

فلا ارى الدمَ فوق الارضِ مندفقاً

والبغضُ يُضرم فيها النارَ والعارا

١٩٠٦، ١٩١٨

وداع الاسكندرية

قيلت في حفلة التوديع التي اقيمت للناظم في النادي السوري في الاسكندرية سنة ١٩٣٠

لا تعذُليه إن رأيتِ ذهولا   إنَّ الفراقَ عليه كانَ ثقيلا
عشرون عاماً في حِماكِ طويتُها   ووضعتُ حبّي فوقها إكليلا
املُ الشباب ، ودمعُه ، وجهادُه   خلّفتُ سِترَكِ فوقها مسدولا
وَرَجعتُ منكِ بوَحشةٍ وصبابةٍ   زادُ المحب إذا أراد رحيلا
يا مَبْسِمَ الوادي ودرّةَ ثغره   كم اشبعَتك قصائدي تقبيلا
في جوكِ الصافي وفجركِ والدجى   والروضِ عبّاق النسيم عليلا
وشواطىء امواجُها سربُ القطا   يُسمعنها بَدلَ الهدير هديلا
كم وقفةٍ لي فيك استوحي الهوى   وأطارحُ البحرَ الحديث طويلا
ويظلّ مَلحِ هوائه يُروي دمي   حتى يذوبَ بأدمعي ويسيلا
هذي نجومُكِ سوف ارصدها اذا   ما بتُّ في الجبلِ الاشم نزيلا
لأراكِ في نجواي غيرَ بعيدةٍ   وأرى لقربك في السماء سبيلا

* * *

يا عهد احبابي عليكَ تحية   هل كنتَ الا مطلعاً وأفولا

لي في كتابك للصداقة حجةٌ سجّلتها بيد الوفا تسجيلا
فقرأت منها في وجوه احبتي هذا المساء حواشياً وفصولا
ما كنتُ احسب للفراق حسابه لو لم يكن قلبي بهم مأهولا
لو لم تكن مصر التي احببتها وعشقتُ خضرةَ ارضها والنيلا
فحملتُ في نظري جمالاً خالدًا منها ، وفي عُنقي حملتُ جميلا

* * *

في ذمّةِ الخطباء جهدُ قريحة فضحوا بها يومَ الوداع زميلا
ما كان مغلولَ اللسان وإنما تركَ الفراقُ فؤادَه مغلولا
والشعرُ يا امراءه ، لم يبق لي من بعدكم شوطٌ بهِ فأجولا
هذه قوافيه ، وتلك بحورُه قد ملّكتكم عرضَها والطولا
طَلَعت قصائدكم عليِ روائعاً أرأيتَ عند طلوعه الاسطولا
تجري قذائفهُ سلافةَ حكمة ويكون قصفُ رعودِه ترتيلا

* * *

يا مصرُ صنتُ هواكِ بين جوانحي وتركتُ بعدكِ مدمعي مبذولا
لو لم يكن لبنانُ قبلة ناظري لم اتخذْ يا مصرُ منك بديلا

الأرض تخاطب الانسان

نظمت هذه القصيدة في عرض الكلام عن التجديد في الشعر (انظر على المنبر ج ١) مثلاً خاصاً للتساهل في الجمع بين الاوزان المتقاربة ، وفي القافية . وللتوسع في استعمال الالفاظ على غير معناها المفهوم .

تقولُ الارضُ للناسِ لقد شبتُ ، وما شبتُ
فمن شرقٍ الى غربٍ ومن قُطبٍ الى قُطبِ
ومن رأسي لأطرافي
يمرُّ الدهرُ كالحُلم
على جسمي
فلا يُوهن من عزمي
ولا يُرهق أعطافي
وكيف أصابُ بالهرم ومن ذَهَب الضياء دمي
وأمي الشمسُ في الفجر بقبلتها على ثغري
تجدد حرَّ أنفاسي
صحبتُ ذنوبَ الزمان فلم أجدْ مثل يومي وآفاته
جنونٌ على دممي زحفهُ وفي اضلعِي وقعُ ضرباته
يلذُّ ضربُ المعول

يقولُ لي

انتِ الغذاءُ والمُنى

يا أمُّنا

لا تبخُلي .

وأمـا ضربةُ العارِ لِسَلْبِ معادنِ الأرضِ

وسكْبِ سلاحِها الناري على الاطماعِ والبغضِ

فما لي بعدهـا آسِ

* * *

حملتكمُ على صدري وفي الأنواء مُضطَربي

وتحت سنادسٍ خُضرٍ كتمتُ لظًى تأججَ بي

وفوقي النار تستعِرُ

أثرتَ شُواظها القـاني فثار عليكَ يا جانِ

وطاف بربعكِ الناعي فما للأمّ من حامِ

وما للاختِ من راعِ وطفلُك مهـده دامِ

تناغيـــــهِ وتحتضرُ

تركتَ عليهِ من امل الرجوع شُعاعَ محترقِ

وطيفُ اليُتم في العينين لم يترك سوى الأرقِ

يناجي ظلمةَ اليأسِ

ألا في ذمّة الله خيالٌ لاح للسلم
أطلّ بنظرة الساهي وطار بخفة الحُلم
فما كحلتُ اجفاني

فرشتُ لهُ على جنبي وثيرَ مطارف الحبِ
فاسرعَ دونهُ المدفعْ وخرّبَ ذلك المضجعْ
وغطّاه بأكفان

وكانت بهجةُ العيد فلم يتركْ على بابي
سوى الاعيادِ للدودِ وعن قيثارة الغابِ
اناب انينَ ارماسي

لقد شبتُ وما شبتُ تقول الارض للناسِ

* * *

يا لسحر حملتهُ في جبيني من ربيع الآمالِ والأيام
وعناقِ السماء في زُرقةِ البحر وفي خُضرة الشُعاع النامي
واختلاج الفضاء والليلُ يمشي حافياً في السهولِ والآكام
ورمادِ الضياء يذريهِ فوقي قمرٌ ساهرٌ على احلامي
وصلاة تعلو مع الموج والريحِ على زفةٍ من الانغامِ
وشذا السكرِ عابقاً في برودي من مدام الهوى او الأوهامِ...
صورٌ للجمال ، شوهتموها بدُخانٍ من حالك الاثامِ

أطفأ النورُ في الثغور وألقى شبحَ الجوع في العيونِ الدوامي

* * *

ما لنجوى الأسلاكِ لا تستفزُّ اليومَ اصداؤُها سوى آلامي
ولحظَ الحديدِ أرجفُ مِن قُضْبانِهِ وهيَ اضلعي وعظامي
والجواري، من الضفاف اليها نظراتٌ ليستْ حديث هُيامِ
وعلى الطائرات الفُ سلام يوم كانت لراحتي وسلامي ؟
رسلُ الفقر والدمار وقبلا حَمَلت ثروتي وصانت حُطامي
إلى هـذه المخازي انتهيتم بعدَ نَهْكِ العقولِ والاجسامِ
وعُصورٍ من ظلمةٍ وشقاءٍ وخنوعٍ وثورةٍ وانتقـام ؟
بئسَ عُمرانكم وحكمةُ جيلٍ أفسدَتْـه سياسةُ الحكّامِ

* * *

ألا فـارجعْ إلى داري وإن شطّتْ بكَ الدار
ولا تهزأ بـأسراري ففيها النورُ والنـار
لمن يؤمنُ او يَسعى
أليس الجـوعُ والحبُّ مـدارَ حيـاتك المرة
فحسبُك فيها حَسْبُ بساطـةُ عيشة حرة
وجودٌ يُنصف الزرعا

اذا ابتسمت على ثغري الاماني فهل تبقى سماؤك مكفهرة
وما معنى الحلاوة في دِناني اذا كانت على شفتيك مرة

عصرتُ من دمِ قلبي في كأس حبك خمرا
فما تَمليتَ حبا ولا تذوقتَ عصرا
اكلما فاضَ رزقي بدلتَ باليُسر عسرا
فتحرقُ الزرعَ شهرا وتمنعُ الزرعَ شهرا

* * *

وضعتَ القيد في نحري فضاعت فيك امالي
ورحتَ تَريد في فَقري تُريق دمي على قبري
تمزق شملَ عمالي

إلام الام يا عاتي تحوّل عنك خيراتي
وتغرق بالدم الزاهي بساتيني وجناتي
وتجحد نعمة الله

لقد غامرت في الحرب بآمالي واموالي
وكانت معك لي حالٌ فلم تثبتْ على حال
ولم تشفق على شعبي

فأين المنقذ الفادي يعيد اليّ امجادي
وينشرُ في دجى الحقد على الباقين من وُلدي
شُعاعَ الرحمةِ الهادي

بقوة ساعدٍ حرّ يُديرُ الرفشَ والمعولْ
وثورة فتيةٍ غرّ يلينُ لعزمها الجندلْ
عساك تلين يا قاسِ

لقد شبتُ وما شِبتُ تقولُ الارضُ للناسِ



الشاعر والمومياء

الشاعر

يهنيكِ نومُكِ يا ابنة الأزمانِ   في القفر يرعى ليلَكِ الهرمانِ
هل أنتِ آسفةٌ على عُمرٍ مضى   أم أنتِ ناعمةٌ بعمرٍ ثانِ
بدّلتِ بالقصرِ التُرابَ ، وبالشذا   ملءَ الإزار ، القارَ في الاكفانِ
نزعوا فؤادكِ فاسترحتِ من الهوى   وسكنتِ بعدَ الوجدِ والخفقانِ
تمشي العصورُ وأنتِ واقفةٌ فلا   تتأثرين لنازحٍ أو دانِ
وتقومُ حولكِ صيحةُ الدنيا فلا   ترتاعُ منكِ لسمعِها أذنانِ

المومياء

أمريدَ سِرِّ سكينتي لا تغترِرْ   فانا بها اشقى وغيري الهاني
لا ينفعُ الميتَ البقاءُ فليته   ما كان في الاحياء من أبقاني
بل ليتهم طرحوا رُفاتي في الفلا   لوحوشِها نهبا وللعقبانِ
او في التُراب أصير من اجزائه   والريحُ تذريني بكلِّ مكانِ
فاعودُ للكون الذي فارقتُه   ويجدّد الدهرُ الجديدُ كياني
تلك الحياةُ ، وليس ما ضمّختمُ   جسدي به وكحلتمُ اجفاني
في ظُلمة القبرِ السحيقِ ومهجةِ   الصخر العميق يبيتُ جسمي العاني

لا النيلُ يُرويني ، ولا بدرُ الدُجى يوماً يُنيرُ شعاعُه جدراني

جاري ابو الهول المقيمُ على المدى سهران فوقَ رماله يرعاني

اخذ العصورَ بصدره فكأنما عيناه في الاعصارِ غائرتانِ

وأبيسُ في أوجِ الضريح محلّقٌ فوقي ولا يقوى على الطيرانِ[1]

وحيالَ قبري كلَّ آنٍ ضجةٌ تطوي إليَّ مراحلَ النسيانِ

طوراً أنينَ العاصفات وتارة إيقاع دمعِ العارض الهتّانِ

والريح تسحبُ في العَراء ذيولَها ما بين نقعٍ ثائرٍ ودخانِ

كلٌّ يناديني فتخفقُ اضلعي لصداه تحت لفائف الكتانِ :

« قومي فقد دَعتِ العناصرُ والبسي حُلَل الطبيعةِ وامرحي بأمانِ »

« نحتلَّ من جسم الوجود صميمَه ونشاركُ الافلاكَ في الدورانِ »

« قومي لعلكِ زهرةُ البستان ، او روحٌ تحركُ زهرة البستانِ »

« ولربما اتخذت محاجرُ كاعب منكِ الفتورَ للحظها الوسنانِ »

« كم من دمٍ عصرَ المدامَ واعظمٍ صاغت عناصرُها حلى التيجانِ »

« ومجنّحٍ هزَّ الغصونَ ، فذ هوى رُدّت جوانحُهُ الى الاغصان»[2]

---

(١) ابيس : طائر مصرى قديم لم يزل منه بقية في ارض مصر وعلى الاخص في الصعيد وكان قدماء المصريين يعظمونه ويقدسونه وينسبونه الى رب الحكمة « توت » ويرسمون هذا المعبود برأس ابيس. وقد اكتشف الاثريون بصعيد مصر مقبرة جثة محنطة من هذا الطائر.

(٢) اي عاد بعد الموت نباتاً .

« ما انت عِبرَ الكونِ الا آلةٌ يعتدُّها في معمل العمرانِ »
« بل قطرةٌ من بحره وشرارةٌ من شمسه في الهيكل الانساني »

الشاعر

يا عـبرةَ الايام جئتُك لاهياً فرجَعتُ منكِ بحكمة وبيانِ
شكواكِ للانسان قائلة له لا تغترر بالعلم والعرفانِ
تبني ويهدُمك الزمانُ وهكذا يبقى البناءُ وليس يبقى الباني
إن الحياةَ جنايةٌ ، افما كفى حتى أردتَ خلودَها يا جانِ
علّلت نفسك بالدوام ، فلم تُدمْ الا الشناعةَ في مثـالٍ فانِ



الاعمى الجائع

اقامت جمعية اغاثة العميان برئاسة السيدة شمس سعد حفلة خيرية في سينما روكسي وطلبت من الناظم شعرًا يُقال في الحفلة ، وقد القت الابيات السيدة لوريس بريدي وهذا ما بقي منها في الذاكرة :

الفجرُ حولَ سريرهِ يتبسّمُ ... والفجرُ في عينيهِ ليلٌ مُظلمُ

تمشي اشعّتُه على أهدابه ... فيردُّها عنه سِتارٌ محكَمُ

وتُنيرُه الاقمارُ كلَّ عشيّةٍ ... لكنَّ منظرَها عليه مُحَرَّمُ

ذهب القضاء بنجمتيه فما الذي ... توحي اليه شمسُهُ والأنجمُ

هذا هو الاعمى ، وحسبُ فؤاده ... جوعاً فكيف به اذا جاع الفمُ

شفتاهُ تحترقانِ مثل جفونِهِ ... لا الدمعُ يُطفِئُ من لظاه ولا الدمُ

هذا هو الاعمى الذي شرّفتمو ... هذا المكان لاجله فَشرُفتُمُ

سيظلُّ ذكرُ جميلِكم في قلبِهِ ... نغماً على الدنيا به يترنمُ

الصامتون

كان احد الادباء في مصر قد ارسل الى الناظم وهو في الاسكندرية ابياتاً بهذا العنوان لشاعر انكليزي مشهور وسأله ترجمتها شعراً عربياً. وهذه هي :

كم رمى الدهرُ مِن يراعٍ وعودِ ... فَفُجِعنا بمُنشدٍ ونشيدِ

ووقفنا على القبورِ نُحيّي ... مِن دُعاةِ القريضِ كلَّ شهيدِ

ونسينا تحت الثرى غرباءً ... حملوا « صامتين » ثقلَ الوجودِ

لم يَبُحْ منهم بشكوى لسانٌ ... ربما كان من ملوكِ القصيدِ

لهفَ قلبي على بلابلَ ماتت ... مــا سمعنا لها صدى تغريدِ

لا تُخصِّص بالدمع مَن غاب عنا ... تاركاً ذكره بكل صعيدِ

وابكِ قوماً اقلامُهم لم تُعبِّرْ ... عن مآسي احلامهم والعهودِ

كلَّل الشوكُ هامهم ثم ساروا ... لفنــاء ،

وغيرهم لخلودِ....

تحية القدس

كانت جمعية اتحاد الشبان المسيحيين قد دعت الناظم الى القدس لالقاء محاضرة فيها فافتتح كلامه بهذه الابيات :

أرض النبوّة والحديث المنزل ... أوحي الى قلبي البَيان ومقولي
الحكمة الغراء منكِ معينُها ... وهديلُ شعرِك في المتيّم والخلي
داوودُ تاجُ الملك فوق جبينه ... وبكفّه قيثارة المتوسلِ
والجوّ هينمةٌ تذيعُ على الملا ... أنغام اوتارِ الحكيم الأولِ
روّى دمُ الفادي ثراكِ ، وعطّرت ... بُرديكِ أنفاسُ النبي المرسلِ
ما رومةُ البلدُ المخلدُ ذكرهُ ... فيكِ الخلودُ،وأنت اطيب منزلِ

* * *

لله في جمعية قامت على ... ايمانها بالله والمستقبلِ
لما رأت عهدَ انحطاطٍ عهدَها ... هبّت لترقيةِ النفوس الى علِ
وبَنَتْ لها في الشرق افخمَ معهد ... فكسا جمالَ الروح صُمّ الجندلِ
أحيا سليماناً فهل لي وحيُه ... حتى اكونَ خطيبَ هذا المحفلِ
غُذيتُ من « أمثالِهِ » لهدايتي ... ورُويتُ من « إنشاده » لتغزلي
وذكرتُ هيكلَهُ فجئتُ مسلماً ... وهديتي من عِطر أرزِ الهيكلِ

يا ليل

خفّفِ الوطءَ عَليّاً   علّني افهمُ شيئاً   منك يا ليـلُ

كلما اطلقتُ فكري ، فيـكَ يجري ، كنتُ كالخابطِ في امواج بحر

تحت عُمقِ ، يتلوّى مثلَ قيدٍ حول عنقي .

وباذنيَ طنين ،   لا يبين

من هدير الشر ، وصراع القدر

كلما انعمتُ فيك النظرا

لأرى ما لا يرى

خِلتُ أني بالغٌ تلكَ الحدودْ

والسدودْ

خلفَ غاباتِ الظنون

فاذا بي حاسرَ الطرف كليل

دمك الاسودُ في عيني يسيل

حَرقاً تحت الجفون .

* * *

إنني اسمعُ همساً واخالْ
أن للّيل شفاها
تملأ الظلمة آها
واحاديثَ طِوال
أترى هذا صدى للقُبل
تركتْه سكرَاتُ العاشقين
ام صلاةٌ من قديم الازل
لم تزَل تُرهف سمعَ العابدين
أم هو الوحيُ رسول الامل
وحبيبُ المنشدين
ام عتابْ
وحسابْ
في ضمير المجرمين
ام معادٌ ونشورْ
للقبور
تلتقي فيه العصور
بين شكوى وحنين ؟
* * *

طلَعَ البدرُ يشقَ الحجُبا
مُعجِبا
فالغيومْ
كلحافْ
قطنُه مندوف
أو قطيع من خراف
ابيض الصوف
والنجومْ
في السماءْ
تخفض الطرفَ حَياءْ
وعلى الأرض بَياض الكفنِ
وصلاة الزمنِ

* * *

ما نجومُ الليل الّا مُقَلٌ ترنو الينـا
مُقل الأمواتِ ممن ذكرهم غالٍ علينا
فاذا ما الشمسُ غابت والدجى غمر الارضَ أمـاناً وحنانـا
أقبلت من عـالم الغيبِ علينا ، لترانا .

يا نجوم الليل من تلك الثقوبِ   ارسلي النور الى قلبي الكئيب
واغمُري بالوحي روحي علها   ترتوي من ظماءٍ فيها غريب
وليكن يا ليل في صمتك لي   صيحةٌ تنفذُ أعماقَ القلوب
عندما اروي أحاديث بلادي،   وبعادي
حاملاً أوراق غاري   نحو دار غير داري
يعرف الناس بها قدرَ الاديب...
وليكن يا ليل في صمتك، لي   صيحة تنفذ اعماق القلوب
أبعثُ الشعرَ بها بين الملا   ينشرُ الحبَّ ويُحيي الأملا
ويظلُّ الليلُ ستار العيوبِ

١٩٣٩

اثينا

أُذيعت من راديو الشرق يوم انتصار الانصار .

حدثينا عن العُلى حدثينا
فلولا الانصار فوق اثينا
حرّروها فحرروا صفحاتٍ
عزٍّ فيها التاريخ دنياً ودينا
بلدُ الظرف والاناقة والفـ
ـكر ومهدُ الابطال والخالدينا
ومنارُ الحرية البكر لما
فجّرتها الدماء من « سلامينا »
يا لها ذكريات عهد قديم
لم يزل مجدُه يُضيء القرونا
يومَ كانت سلطانة البحر
بحر الروم والفرسُ دونها صاغرونا
يوم كانت جيوشها تزرع
الأرضَ اماناً وحكمة وفنونا

ولها في مجالس الأنس جيش
آخر يزرع الحياة مجونا
جيلُ أسبازيا وفدياس
والسمارِ والعازفين والمنشدينا
وعلى الاكربول ابدعُ ما
للفكر والفن شيَّد البانونا
لم يكن مثلها غنى وجمالًا
وبركليسُ مثله لن يكونا

* * *

إيه يا موطنَ الغطارفة
الاغريق ، زِدْني جوى وزدني حنينا
لستُ انسى عُدوان روما
وطاغيها ، وكيف استباح منك العرينا
فرأى ما أشاب منه النواصي
وأثار الإعجاب في العالمينا
ثم جاء النازي يصبُّ عليك
النار طيرًا ودارعاً وسفينا

وَيَدينُ الاحرارَ ، حتى اذا ما
أزِفَتْ ساعةُ انتقامك ، دِينا
فخبا نجمه ، وضل هداه
وحبتْك الاقدارُ نصراً مبينا

* * *

يا منرقا من الأُلمب أطلّي
وابسمِي كالشعاع للفاتحينا
دارُكِ اليوم حرّةٌ ، وبنوها
أُسدٌ في الوغى كما تعهدينا
قد قرعنا لك النواقيس ليلاً
وأنرنا الشموع للهازجينا
وادرنا الكؤوس باسمك تترى
وأعدنا اعيادَ ڤانوس فينا
حدثينا عن العلى حدثينا

مهرجان الكتائب

يوم الاحد ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ اقامت الكتائب اللبنانية حفلتها السنوية في سينما روكسي والقى الناظم فيها هذه القصيدة ثم طبعها المؤتمر الوطني على نفقته لتوزع هدية للشباب اللبناني وصدرها بهذا البيت للناظم :

انى لابذل انفاسي بلا ثمن   حتى اراك كما اهواك يا وطني

والمؤتمر الوطني حزب تألف عامئذ من صفوة اللبنانيين احتجاجاً على اعتقال السلطة الفرنسية رئيس الجمهورية والوزراء وسعياً للافراج عنهم

حيِّ الكتائبَ ، وانشر فوق لبنان
روحَ الكتائب في شِيب وفتيانِ
وابعث بشعلتها في كلِّ جارحة
حبَّ الجهادِ وجدِّد مجدَ عدنانِ
شمسُ العروبة في لبنان ما غربتْ
يوماً ولا غاب عنه نورُها القاني
كم من شهيد لها فيه ، وكم بطل
وثائر من عرين الاسد غضبانِ
وذي يراع طوى الآفاق يزرعُها
ما ضمّت الضادُ من حُسن واحسانِ

* * *

شبابَ لبنان هل كنتم لنُصرته

الّا سِلاَحين من حقٍ وايمانِ

أزمانَ لا حقَّ مرفوعَ اللواء ولا

ايمانَ يُلهب عزمَ اليائس الواني

كانوا اذا ذُكر استقلاله ضحكوا

كأنــه حلمٌ في جفن وسنانِ

اردتموه عـلى الايام متحداً

حراً فكنتم له في كل ميدانِ

تحاربون من الاخلاق ما عبثت

به تقاليدُ عـاداتٍ واديانِ

وتنشرون من التاريخ ما نقشت

اجدادكم فيه من عزٍّ ومن شانِ

كم وقفةٍ لكم يعلو الجبينُ بها

في جَلب مكرمةٍ او دفع عدوانِ

فتملأون باعمال لكم غرر

كفَّ الفقير وجوفَ الجائع العاني

وتضربون على ايدي الألى احتكروا

مواردَ العيش مِن قاصٍ ومن دانِ

قد كان في البرج منكم مشهد عجب
يا عُجَبَ ما شهدت في البرج عينانِ
جاءت كتائبكم من كل ناحية
عزلاء تمشي صفوفاً بين نيرانِ
والشعب من حولكم قد ضجّ من جزع
والبرجُ ضجَّ بزنجيٍّ وسوداني
فارتدّ عنكم كميُّ القوم في خجل
وعدتُمْ بجبينٍ غير خجلانِ
من صيّر الناس احرارًا بثورته
هل يستعين على حرٍّ بعبدانِ
الله اكبر من نصر صحائفه
تبقى على الدهر ما يبقى الجديدانِ

* * *

بالامس هبّت على لبنان عاصفةٌ
أودت بما فيه من حُكم وسلطانِ
فروّع العربَ الاحرارَ مصرعُه
من الشآم الى أطراف حورانِ
الى العريش فصاحت مصر صيحتها
إلى العراق فهبّت اسد بغدانِ

الى الحجاز ، الى البيت العتيق ، الى

القدس الحرام ، الى بطحاء عمانِ

واصبح البلد المنكوب في مرَجٍ

كأنه يتمشى فوق بركانِ

فكنتم المثلَ الاعلى لِخدمته

في ساعةٍ عز فيها كلُّ مِعوانِ

* * *

لولا النساء وصيحات النساء لما

سمعتَ غيرَ صدى واهٍ وولهانِ

خرجن في موكب تُغني طلائعه

مهابةُ الحق عن غار وريحانِ

كأنهن اسود الغاب ثائرةً

يا من رأى اسدًا في زي غزلانِ

ما بنتُ لبنان الا نور غرتِهِ

يا بارك الله فيها ، بنت لبنانِ

واليوم عادت الى الايام بهجتها

وعاد لبنان وهو الظافر الهاني

فأنجزوا ما تبقى من رسالتكم

وطهِّروا الجو من غلّ واضغانِ

لبنان لا يتخلّى عن حكومتـه

فليس دستور قومٍ لعبَ صبيانِ

كم عاهدوه على استقلاله ومضوا

به فما نال منه غير حِرمانِ

الله عزز هـذا اليوم شوكتَه

فليس يَثنيه عن تحقيقه ثانِ

اعلامُه الحمرُ رمزٌ ان أرزته

الخضراء تُسقى وتُفدى بالدم القاني

ذكرى بشامون بيتٌ من قصيدته

تُغنيك روعتُه عن ألفِ ديوانِ

* * *

شبابَ لبنان قولوا للشيوخ مضى

عهدُ الجمود ولفّوه باكفـانِ

الامس ملكهم ، لكن غدٌ لكم

ومـا غدٌ غير تجديدٍ وعمرانِ

دمُ الشباب غلى فيه فأكسبَه

صلابةَ العود في المبنيّ والباني

وما الشبابُ بايام يُعدُّ بها

إن لم يكن منه للعَليا جَناحانِ

قيثارةٌ في يمينِ الدهر ما لُمست
إلا تفجّر منها قُدس الحانِ
الحـانُ مجدٍ وإقدامٍ وتضحيةٍ
وثورةٍ ومروءات ، وغفرانِ
يا فجرَ يومٍ اليه منتهى املي
ونورُه مالئٌ قلبي ووجداني
غداةَ يجمع داعي الحبِّ شملكمُ
على تسابيح انجيـل وقرآنِ
وفي القلوب وفي الآذان قاطبة
صوتُ المؤذن والناقوس سيأنِ
غداةَ تمحى حزازات الصدور فلا
يثيرها الدينُ حرباً بين اخوانِ
ولا يُفضلُ مخلوق لمذهبـه
من مسلم ويهودي ونصراني
الطائفية ــ يا ربّاه مغفرة ــ
بليّة الشرقِ هذي منذ ازمانِ
دلكُ المعاقل والباستيل أهونُ من
دك التعصب في محرابها الجاني

غولُ الأساطير لم يَفتكْ هِرَقلُ به

الا لِيُنقذ منه العالم الفاني

والطائفيةُ غُول العصر ، فاتحدوا

حتى يكون هرقلا كل لبناني

حُلمٌ جميل أغـذيه فيُسعدني

وكم تعهدتُ من حُلم فأشقاني

حُلمٌ ولكنْ مع الاحلام قد تلِدُ

الدنيا عجائبَ معروفٍ وعرفانِ

وما المعالي إذا حققت عن كثب

الا وليدة احلامٍ ، وايمانِ

* * *

شبابَ لبنان ، لا نامت لكم هِممٌ

ما كان لبنان لولاهـا بيقظانِ

خلفَ البحار الينا اليوم شاخصة

عيونُ أهل وأحبـابٍ وخلانِ

في عهده الاول المذمومِ ما يئسوا

منه ، فكيفَ بهم في عهده الثاني

كم ساهروه الليالي في مضاجعهم

وشاركوه بـافراح وأحزانِ

هم وسّعوه حدوداً حيثما نزلوا

وصوّروه من الفصحى بالوانِ

وارسلوا الفكرةَ العرباء حاملةً

للغربِ عن أصغريه خيرَ تبيانِ

ولم يزالوا على بعد الديار بهم

يشدُون بالأرز في سرٍّ واعلانِ

لا تجعلوا خيبةَ الامالِ تصدمُهُم

إذا حلَتْ لهم رُجعى لاوطـانِ

* * *

شبابَ لبنان ، هذا اليوم عيدكم

بل عيدُ كل فتى للمجد ظمآنِ

ماذا تريدون مني بعد ما شعل

البياضُ رأسي ، وهدّ الدهرُ بنياني

لولاكم مـا أثار الشوق كامنةً

مني ولا هزّني للشعر شيطاني

هذا دمي إن تُنادوني وذا قلمي

كِلاهما عربيُّ الاصلِ لُبناني

يوم العمال

نظمت هذه القصيدة يوم كان الروس والحلفاء متحدين على المانيا وقد بدأوا في هزم الجيوش الالمانية وردها على اعقابها

هتف المجدُ والدمـاء تسيل ... لكِ يا « تُمّرُ » كلّ مجدٍ يؤولُ

فغر الغول فـاه يطلب نصرًا ... فاذا كلهم على النصر غولُ

نزعوه من بين شدقيه نزعًا ... وأروه الايـامَ كيف تدولُ

جيشهُ الضخم دكّه الضربُ حتى ... ضاق عرض له وأُقصر طولُ

وابلُ النـار والحديد عليه ... وعليه ثلوجهـا والوحولُ

بعد « خركوف » كيف ، وستالينكَراد قبلًا وآخرًا « ترنبولُ »

ومـيـاه الڤولكا نجيع عليه ... يتلاقى القوقـاز و « الاوريلُ »

ما تملّى الاوكران ضماً ولا ... أشبع شماً خيشومَه البترولُ

* * *

اين ما هوّلت به دولةُ النازي واين التزمير والتطبيلُ

واغـاني برلين بالفوز والفَوْزُ مُـبـين لجيشها مكفولُ

قوة ما تشاء عنهـا فحدث ... اين كسرى وقيصر والمغولُ

شيّدوا أُسها على البغي حتى ... عُبدت للبُغاة فيها العجولُ
كسرتها شكيمة الحمر كسرًا ... مثلما تكسر النصولَ النصولُ
بذلوا دونها دماً عبقرياً ... بورك الباذلون والمبذولُ
في صفوف تمشي الى الموت منها ... والى النصر فتية و كهولُ
ونساءٌ لدى الكفاح رجال ... وعليهن مثلهم تعويلُ

* * *

يا فتاة السوفيات اي جمال ... لم يخلده فيك صنع جميلُ
حمّلتك الاحداثُ عِبئاً ثقيلًا ... كم يضير الحسناء عبءٌ ثقيلُ
جسمك الغضُّ يحمل الزاد ليلًا ... ومزار الاحباب ناءٍ طويلُ
وجريح على اللظى يتلوّى ... مرّ دهرٌ ولم يبلّ غليلُ
فاض منك الحنان بردًا عليه ... وسلاماً رواقه مستطيلُ
تنجدين الانصار خلف الاعادي ... والهدى انت إن يضل الدليلُ
وتقيمين في المصانع يرعى ... آلة الحرب زندك المصقولُ
اعوز الارض ساعد يجتليها ... واستغاثت حزونها والسهولُ
فهززت المحراث يُؤتى جناها ... واطمأنت مزارع وحقولُ
ومن الحسن اوجه وعيون ... ومن الحسن ساعدٌ مفتولُ

* * *

شهرَ ايار ، والحياة شجونٌ ... أنتَ للعام شهرُه المعسولُ

منك للزهر في الرياض سبيلُ   ولحريـة الشعوب سبيلُ
فتح القلبُ تحت شمسك كالورد   وقد كاد يعتريه الذبولُ
ضجّ بين الضلوع بعد انتظار   طال وهو المقيّد المكبولُ
فرحاً بالذي بعثتَ ، فلا الفلّاحُ عبد ولا الأجيرُ ذليلُ
يا لها ثورة على ساعد   العمال قامت فروعها والاصولُ
عصفت بالسرير والتاج   فانهارا وأقوى حماها المأهولُ
وجلا كل كابر وشريف   عن مغانيه فالمغاني طلولُ
وانتهى المال والعقار الى   الدولة فهي المدبّر المسؤولُ
وتساوى الجميع في سرحة العيش   فلا فاضل ولا مفضولُ

* * *

ايه لبنان انت ذا اليوم حرٌّ   فتطلّعْ فالافقُ زاهٍ جميلُ
لك أن تهتدي به بعد ليل   طال ، والليل في الشقاء يطولُ
بهظتك العصورُ ظلماً   وأبلى حدّتيك الحرمان والتعليلُ
حان للعامل الضعيف بأن   يقوى وان ينفض الغبار الكسولُ
ما لأخلاقنا تزيدُ فساداً   كلما زاد بيننا التأثيلُ
ودهانا على الفساد غلاء   ملأ الخافقين منه العويلُ
قد شقينا به وذبنا وحرنا   وصبرنا ، ما كل صبر جميلُ

عجباً ان نكون في بلد الخير وهذا الغلاء فيه نزيلُ
نكبة الشرق اننا لا نضحي ابدًا ، والكرام فينا قليلُ
نكبة الشرق أن فينا خنوعاً فنحابي من اجله ونميلُ
يسرق الجائعُ الرغيفَ فيمنى بضروب التشهير وهو ذليلُ
والذي يسرقُ الالوفَ عزيز وله دون غيره التبجيلُ
ليتَ شعري ألا نفوس جريئات فيستعبر الظلوم الجهولُ
تظهرُ العيب للذي فيه عيبُ وتقول الصحيح إمّـا تقولُ
ويح قومي ماذا دهى اليوم قومي فاثار البلاد خطب جليـلُ
فتنـة شبّها طماع وحقد وغذاهـا الضلال والتضليلُ
اتراهم لا يقنعون بحق ام دم الحق عندهم مطلولُ
ام يودون ان يظلوا ارقـاء فـلا مجلس ولا تمثيلُ

* * *

أرزتي رايتي وعزي وحرزي لك مني السجود والتقبيـلُ
باركتك الاحرار في كل ارض واصطفاك القرآن والانجيلُ
تخذتك البلاد رمزًا اصيلًا هل يساوي الاصيل فيك الدخيلُ
لك في معقل الامان علينا ذمم كلنا بهـا مسؤولُ
ان يفتني حمل السلاح فعندي قلم كالحسام ماضٍ صقيلُ
طالما الهب النفوس زئير منه او اطرب النهى ، ترتيلُ
لا تقولوا قد شاب شَعري فشِعري ابـدي شبابه لا يحولُ

روزفلت

في كلّ أرضٍ يومَ نعيك مأتمُ
يبكي الشقيُّ عليك والمُتنعِّمُ
ما كان ضرَّك لو صبرتَ هُنيهةً
ليكونَ عيدُ النصر عيدَك معهمُ
فقِدوا ابتسامتك التي كانت لهم
نورًا ، اذا عبَس الزمانُ المظلمُ
أسّستَ للاجيال بعدك عالماً
وأردته لا دمعَ فيه ولا دمُ
ما زلتَ تنفحه بأروعِ ما بهِ
يجري لسانٌ ، او يُسطِّر مِرقمُ
حتى إذا اكتمل البناء ، واصبحت
قاعاته لك تستعد وتبسِمُ
« وقف الردى بك حيث انت فلم يكن
متأخرٌ عنه ولا متقدمُ »
أرهقتَ والستون ملء إهابها
نفساً ، على الستين ، لا تتجهمُ

فهل اتخذت الهدنة الكبرى لها
والهدنةُ الاخرى قريباً تُبرمُ ؟
الله اكبر ، يا له من مأتم
بصداه يُفتتح الغداة الموسمُ

* * *

في ذمة التاريخ غضبة مُصلحٍ
حَمَلٍ وفي عَصْف الرياح الضيغمُ
نبّهتَ للجُلى عزائمَ أمةٍ
كانت تنام على الحرير وتنعمُ
ونفخت روحك في البلاد جميعها
فاذا البلاد مدافع تتكلمُ
وخلقت قانون « الاعارة » بدعةً
للعبقرية تُستحل وتُغنمُ
وطفقت تبعثُ بالذخائر جمة
فيضيع منها ما يضيع ، ويسلمُ
تبغي انتصار الحق في حرب اذا
ذُكِرَتْ ، فأيسر ما يقال جهنمُ

متجشماً في كل مؤتمر لها
سفرًا على الاخطار لا يُتجشمُ

* * *

جنّت السفينةَ ، والجواءُ عواصف
مجنونةٌ ، والافقُ اربد اقتمُ
وشوامخ الامواج يقذفُ بعضُها
بعضاً فتكتسِحُ الشراعَ وتلطمُ
فقبضتَ باليُمنى على سُكّانها
ومشى بها في اليمّ قلب مُلهمُ ،[1]
حتى بلغت بها جَناحاً آمنًا
وأريتهم كيف المصاعب تُقحمُ
عجبٌ ، فلو حمل المقطّم بعضه
لم يبق ، ان ذكروا الجبال مقطمُ
أرسى على جسم أشل ، وانما
عند العزائم لا تقاس الاجسمُ
غالبتَ سُقمكَ ، واستفزّكَ مُقعَدًا
فسموْتَ حتى صافحتك الانجمُ ،[2]

---

(١) سكان السفينة : دفتها .
(٢) اصاب روزفلت الشلل وهو في الاربعين بعد محاولته تخليص رجل من الغرق في ماء جليدية .

يمشي بك الايمانُ مِشيةَ ظافر
فيما تخطُّ على الزمان وترسمُ
حباً بانسانيـة مقهورة
ذلَّ الضعيفُ بها وعزَّ المجرمُ
وتنكرتْ مُثلُ الحياة ، فلا ترى
الا الفساد باهلها يتحكمُ
فبعثتَها في العـالَمين رسالةً
لولا التقى ، صلوا عليك وسلموا

* * *

يا أرضَ كولمب تحيـةَ شاعر
منـك استمدَّ الوحيَ فيما ينظمُ
لبنان نحو ثراك يهفو أرزُه
ونجومُك الزهراء يلثمها الفمُ
كم عاش تحت لوائها أبناؤه
وجرى بحبك في عروقهم الدمُ
ما هاجروا وطناً ، ولا هي غربة
حيث التقى القلبان ، منك ومنهمُ

ولو كان غير روزفلت لقبع في عقر داره بعد هذا الداء اما هو فلم يكن الا ليزداد نشاطاً والمراد بالانجم هنا لواء اميركا ومصافحته لها هي الرئاسة .

يبكي الرئيسَ بمائه وسمائه
وعليه خَفْق نسيمه يترحمُ
ويقول يا اختاه ، روحي لم تزل
خلفَ البحارِ على الضريح تحوّمُ

* * *

يا ناشر الاصلاح بين بنوده
يهدي الى الخير الورى ويُعلّمُ
عجّلت عنا بالرحيل ، ولم يزل
في الأرض موتور ، وفيها مُعدمُ
أتظل في البشر العداوة مثلما
كانت ، فثعبان يفحُّ وارقمُ ؟
والمستبدّ يضجّ في استبداده
والبائس المظلوم لا يتظلمُ ؟
ومطامع للاقوياء غريبة
حيناً يُباح بها ، وحيناً تُكتمُ ؟
اخشى من المستعمرين إذا هم
أرخوا العنان لها ، ولا من يلجمُ

اتظل جازعةً على استقلالها
امم بغير بقـائها لا تحلمُ ؟
ويظل بين جهاده وحداده
قلبُ العروبة شاكياً يتـألمُ ؟
ام ينجلي الليلُ الطويل ، ويكتفي
قدَرٌ باعناق الورى يتحكمُ
ويكون مما سال من دمهم لهم
عِبرٌ ، فيُصلَحُ امرُهم ويُنظَّمُ
وتتابع الـدولُ الحليفةُ نهجَها
في دَعم بنيانِ السلام ليسلموا
وتؤيدُ الميثـاق وِفقاً للذي
املاه وحيُك في الحيـاة عليهمُ
فتُطلُّ روحُك من سماء خلودها
وتقولُ يا بُشراي متُّ وعشتمُ

يوم تشرين

ايه يا شعرُ إن يومك جاء   فاشتملها ارضاً وطِفها سماء
كم بعثناك في النفوسِ لهيباً   وأردناك في العقول ضياء
وحبسناك ان تضيع بخوراً   وابيناك ان تذوب بُكاء
ولهذا اليوم ادّخرناك حتى   تملأ الخافقَين منك سَناء

* * *

ان لبنان اصبح اليوم حراً   نازعاً من قيوده اشياء[1]
يزرع الجوّ والبطاح جمالا   ويغذي بطيبه ما شاء
ويجاري بالعبقرية فيه   أمم الغرب حكمة وارتقاء
فترى بنتُ يعرب كيف يحيا   شامخاً بينها ، ويرعى الوفاء[2]

* * *

يوم لبنانِ قد خططت سطوراً   خطر المجدُ فوقها كبرياء
لبست هامةُ المعالي سناه   وأطلّت به ضحى وضاء
ومشت موجة الدهور تروّي   سدرة الخلد نبأةً عذراء

---

(١) اشارة الى انه لم يتم الجلاء بعد

(٢) ان للبنان وجهاً عربياً .

كيف يهوي الجبار فهو صريع　　واخو الحق يعتلي الجوزاء
ان صرح الطاغوت مهما تناهى　　فحطاماً يغـدو ويغدو هَباء
طال ليلُ الشقاء من قبل حتى　　خلتُ دهري مطبِّقاً ظلماء
نحملُ الضيمَ صابرين فـلا نقطع عهدًا ولا نُضيع رجاء
ونادي بالحق ، حتى اذا ما　　حصحص الحق ، واستعرنا نداء
هجم البغي في سكون الدياجي　　فاستباح الحمى وسدّ الجواء
ورمى بالرئيس في ظلمة النفي　　وألقى من حوله الزعماء

* * *

يا لها ساعة تألق فيها　　وجه لبنان عزة واباء
غضبتْ امة سقاها لِبانَ　　المجد تأريخها فعزت مضاء
وانبرى الشعب صاخباً يتلظى　　وتنادى فزلزل الارجـاء
زمجر العربُ حوله فاذا الأرض زئير في لفتـة حمراء
ورأينا على العرين رجالًا　　ورأينا على العرين نساء
تتحدى الحرابَ ، ليست تبالي　　أن تنالَ الحرابُ منها دماء
ظلمةٌ أطبقت لتُطلع فجرًا　　رُبّ خطب يسرّ من حيث ساء

* * *

يوم لبنان كنت نوراً وناراً تبعث الموت والحياة سواء
فعلى الحق تستقر اماناً وعلى البطل نقمة نكراء
باركتك الشعوب ثورة حق حفظتها لنا يداً بيضاء
ورواها التاريخ معنىً نبيلاً كنتَ فيه اليتيمة العصماء
عيدك اليوم هز منا قلوباً غير ان القلوب تحمل داء
ان جرحاً به فلسطين تنزى لهو جرحٌ يصيبنا شركاء

* * *

يا لذكرى تشرين منا يميناً ان يكون استقلالنا استعلاء
لا كلاماً يُخط في الطرس او يُتلى فيمضي مع الهواء هواء
جلّ ما تطلب الكرامةُ منا ان ترانا لرَعيهِ اكفاء
ما بدقّ الطبول نحفظ مجداً لا ولا بالضجيجِ نحمي اللِواء
فانشدوا وحدة القلوب وصونوا إرثَ لبنان ان اردتمْ بقاء
كان مهداً للأنبياء قديماً وسيبقى يُجدد الانبياء

يوم الشهداء ٦ ايار

لم يموتوا ، لكنهم احياءٌ   تُنشد الأرضُ ذكرَهم والسماءُ
ساحةَ البرج اين أعوادُكِ   السودُ ، واين المشانق الحمراءُ
تحجبُ الظلمةُ الوجوهَ فتمضي   وتظلُّ الارواحُ وهي ضياءُ

* * *

شهرَ ايار ، لا سقتْك الغوادي   خُنِقَتْ فيك نبتةٌ عذراءُ
يوم قالوا الإخلاص في العُرب خونٌ   فمشت في السلاسل الابرياءُ
ما كفى الحرب والمجاعة حتى   روعتهم عواصف هوجاءُ
بطش البغي بالشباب وبالشيب   وللبغي بطشة نكراءُ
فذوت وردة الاماني واقوت   من شذاها الحدائق الغناءُ
وخبت جذوةُ الجهاد ، وغطت   صفحةَ الافق غيمة سوداءُ
وَجناحُ العروبة انهدَّ مما   حمّلوه ، وغصّت الكبرياءُ
بعضُ قرنٍ اتى عليهم وهذا   صوتهم لم يزل له اصداءُ
وجراح في جنب لبنان لولا   غضبة حرة لعزّ الشفاءُ
كم مضى الاجنبي ينكأ فيها   كيفما سوّلت له الاهواءُ

فاذا الشعب لفحة من ضرام　　واذا ثورة الدماء الجلاء

* * *

شهر ايار انت ذا اليوم رَمْز　　فيك كان الأبى وفيك العزاء
كلَّ عام ترودُنا منك ذكرى　　يلتقي المجدُ عندها والوفاء
فنزور الاحرارَ والقبر ناء　　ورُفات الاحباب فيه هَباء
ونغذي استقلالنا ، بلبانٍ　　صُبَّ فيه ايمانهم والرجاء
اولا تسمعون شبهَ حفيفٍ　　من وراء القبور ، وهو نداء؟
ايها العائشون نحن سكبنا　　من دمانا لتستفيقَ دماء
ايها العائشون نحن وضعنا　　أُسساً للعلى فأين البناء
ايها العائشونَ ، في خطرة　　الذكرى وفي نبضة العروق دعاء
نحن كنا للحق نعم الضحايا　　افكنتم للحق نِعم الوقاء
« ليس من مات فاستراح بميت　　انما الميت » زمرة اشقياء

* * *

ايه قومي على الحياة سلام　　إن أضلّت سبيلها العقلاء
حق هذا العهد الجديد علينا　　ما تشاء العلى ويهوى الإباء
وتراثٌ من الضحايا مجيدٌ　　ما عليه سواكم اولياء
فاحفظوا العهدَ والتراثَ ، والا　　نحن والله لا هم الشهداء

المؤتمر الوطني

لبنانُ ما اشهاكَ للمتكلمِ والذَّ طَعمكَ في الضمير وفي الفمِ
ألهمتني قبل الشباب ، ولم أزل بعدَ المشيب ، وسرُّ حسنِكَ مُلهمي
فاذا نظمتُ الشعرَ فيك فرائدًا ففريدُ شعري فيك ما لم أنظمِ
قالت وقد مالت على قيثارها لَبَّيكَ هذي قبلَتي لك فاسلمِ
ماذا تريد بأن أغني ، فالهوى باقٍ ، وفي صدري العواصفُ ترتمي
أتريدُ عتباً ام تريد صبابة ، شدوَ الحمامة ام زئيرَ الضيغمِ ؟
فاجبت لا هذا ولا هذا ، بلى غني لي الامل الفسيح ورنمي

* * *

لبنان انت رسالة قدسية مثل المنارةِ في الظلام المُبهمِ
في زيتها اعتصرَ الخلودُ لِبانه فكسى معاطفَها جمالَ الانجمِ
مرّت بك الاجيال تقبسُ زادها مما تُفجّر من سنى متضرمِ
قد كنتَ محراب الدهور ، ولم تزل في هيكل التاريخ اقدس مجثمِ
شاد القدامى في ظلالك مجدهم ومشوا بنورك في العباب المعتمِ
في كل افق يطبعونك قبلةً وعلى امتدادات الدروب كمَعلَمِ
ساروا ويُذكيهم أوارُكَ وقدة متقدمٌ يمشي الى متقدمِ

يذنون بكرَ الدهر حيث رمت بهم … هممٌ كحد السيف لم يتثلم
اني لاسمع صوتَ ارثٍ خالد … من غورْ ماضيك السحيق المفعم
يستنهض الجيل الجديد لينتضي … من عزمه الوثاب ما لم يحلم
ماذا على الايام إن وقفت بنا … بالأمس وقفةَ حائرٍ او محجم
اليومَ جُرّدتِ العزائمُ وانتهى … فيضُ الحياة إلى المحيط الاعظم
أفما ترى في الأفقِ بارقةَ المنى … تستلُّ مِن قومي غطيطَ النوم
شبعوا من النزوات تعصفُ فيهم … رَعناءَ في جوٍ بغيضٍ مظلم
وتنبّهوا للطائفيــة فانثنوا … يتنادمون على فحيح الأرقم
الطائفيةُ ، يا لها من نكبة … صبّت على الفردوس نار جهنم
حاربتُها دهرًا بشقّ يراعتي … وصبغتُ اعوادَ المنابر من دمي
وصَفَعْتُ خدّيها ، فلم اظفر بما … يشفي غليـلَ الشاعر المتألم .
عجبًا أنحيا في بـلادٍ حرةٍ … ويكونُ هذا العصرُ عصرَ تقدم
ويظلُّ مشغوفًا بحمل سلاحها … متعلمٌ ، يهوي عـلى متعلم ؟
قتلوا الكفاءة باسمها ، ومشوا على … جثثٍ من الأخلاق.... يا ربِّ ارحم
الدين ، نعم الدين ان يك داعيًا … للحب ، يُروي من حِياه الظمي
الدين ، نعم الدين ان يك حاملًا … لجراحة الارواحِ ازكى بلسم
الدين تضحيةٌ وروح تسامح … وضُحى على وجه الزمان الأقتم
الدين ليس بآلة للكسب في … يدِ خادمٍ للدين ، او متزعم

اني ، ومـا قولي تعلّة باطل   والله يشهدُ بالذي في اعظمي
أفدي بمالِ الأرض دينَ مجاهد   وأبيع دين المستغلِ بدرهمِ

* * *

لبنان يُطربني اراك وقد سرى   أرج التحرر فيـك المتنسم
لبنان يطربني اراك معـانقاً   ركْبَ المجرة في امتداد اعظمِ
لكن على جنبات صدرك لم يزل   جرحٌ بعيد الغَور لمّا يلأمِ
هذي فلسطين يُلفّها الاسى   ويلفّها ثوبٌ كلون العندمِ
إنا لنجرعها كؤوساً مرة   مما تُجرِّع من عدوٍ مجرمِ

* * *

أشبابَ لبنان الصِباحَ عليكم   مني سلامُ المؤمن المستسلمِ
اليوم يومكم ، فصونوا إرثكم   من مُسرفٍ في الحكم او مُتحكمِ
ومن الدسائس، ان تحاك شباكها   فتضيعَ فيها حكمةُ المستلهمِ
جلَت الجيوش ، وما كفى فغريكم   ما زال في الأضلاع منكم يحتمي
لا تتركوا للأعجمي بقيـة   الطائفية من بقايا الأعجمي
وتمتعوا بجمال اخصب تربـة   وألـذ سلسالٍ وأغنى منجَمِ
هي ارضكم ، مهما تك الامم التي   مرّت عليها في الزمان الاقدمِ
عربية النسمات ، لبنانية   من عيسوي النجبت او مُسلمِ

١٩٤٦

حفلة النجادة في عيد الجلاء

يا قلبُ مالك في انسحابك عاذرُ ما دام يمشي في ركابك شاعرُ
عاهدتَني أن تستريحَ ، ودون ما عاهدتني فلَك الزمانِ الدائرُ
أبكلّ عيد صرخة لك حرة وبكل نادٍ منبر لك حاضرُ
قسماً وملءُ جوانحي زهدٌ من الدنيا وملءُ الفكر وجد غامرُ
لولا الشباب وحبكم في اضلُعي ما طاع لي قلم ولبّى خاطرُ
انا صخرة القفر التي لا تستقى ما لم يفجرها بنان ساحرُ
أي عصبة العهد الجديد ولم يكن الا بك العهد الجديد يفاخر
ماذا ادّخرتِ لحفظه وصيانهِ والدهر مُعطٍ والزمان مؤازرُ ؟
يومُ الجلاء ، اعزّ ما قرّت به نفسٌ ، وطاب فمٌ ، وكُحِل ناظرُ
ألقى على لبنان من انواره حُللا كساه بها الرئيس الساهرُ
حامي الحمى الشيخ الحكيم ومن له في ذمة الأرز العزيز مآثرُ
يوم الجلاء مقدس ، لكنما يوم الجلاء بداية لا آخرُ
وأمامكم شوط بعيد قبل ان يُعلى البناء ويطمئن العامرُ
إرثٌ من الماضي البغيض ، مجمّعٌ في كل عضو منه سوس ناخرُ

مشت السياسة في حواشيه كما يمشي على البلد الامين الغادرُ
وطغَتْ على حركاته امواجُها فمغامر من اجلها ، ومقامرُ
ومؤامراتٌ ، تُشترى في سوقها وتباع بالسلع العِجاف ضمائرُ
ونفوذُ دين او نفوذُ زعامةٍ والحكمُ بينهما ضعيفٌ حائرُ
والعلم والادب الرفيع مسخر للمال وهو بما يُسخر ساخرُ
واشد من هذا وذا حزبيَّةٌ في كل منطقة عليها ساهرُ
يرعى دسائسها ، فإن هي اخفقت فمسدسات خلفها وخناجرُ
هاتوا المعاول يا شباب وهدّموا ان كان للآتي يشيد الحاضرُ
حتى تشُقَّ عن النفوس سحائب حُجِبَت بها طيّ النفوس منائرُ
حتى نرى للظلمتين تصدعاً الجهل والفقر المرير الجائرُ
حتى تُقالَ «الضاد» من عثراتها فلقد كفى يا ضادُ حظ عاثرُ
حتى تعودَ قلوبنا كسمائها بصفائها ، والحب فيها الآمرُ
لا تتركوا للبغض منها مأخذًا البغض في الانسان وحش كاسرُ

* * *

أشبابَ لبنان وحسبي منكم نفس محررة وعزم فائرُ
اليوم ان حمّلتمُ تبعاتِه فغدًا يكون لكم جناه الناضرُ
لولا الشباب ، فما يُرجى من غدٍ ان الشباب غدُ الزمان الزاخرُ

إن الشباب عقيدةٌ وصلابـةٌ   يوم الحفاظ ، فصابرٌ او ثائرُ

ان الشبابَ هو النواة فكلها   ثمر واظلال ونفح عاطرُ

الشرق من حدبٍ اليكم تائق   والغرب من عجب اليكم ناظرُ

ان عيروكم بالقليل فحسبكم   جهد ليظفر بالكثير الصابرُ

او نافسوكم في الخلال فعندكم   من ثروة الاخلاق قسط وافرُ

او فاخروكم بالسلاح فعندكم   شمم العروبة في الصدور ففاخروا

او شايروا التاريخ كنتم قبلهم   في هيكل التاريخ حين يشايرُ[1]

قولوا لمن اخذت عليه شكوكه   طُرقَ اليقين فَلَجَّ وهو يكابرُ

الهيكل الوطنيُّ قدسٌ بنائه   بكم يتمّ خفيّه والظاهرُ.

* * *

يومَ الجلاء تباركت شمسٌ على   جفنيكَ ايقظها الاله القادرُ

إن يَحفِروا في الصخرِ ذكركَ خالدًا   فلك القلوبُ وأنتَ فيها الحافرُ

(١) دخل على امير افريقيا يزيد بن حاتم القاضي فجرى بينهما الحديث عن جماعة رأوا الهلال فاشاروا اليه قال امير افريقيا يقال تشاوروا اليه فقال القاضي بل تشايروا اليه فاصرّ الامير على انها بالواو، وكان ان دخل ابن قتيبة النحوي. وكان فيه غفلة فقال القاضي قطعت جهينة قول كل خطيب. فسأله الامير اذا رأيت الهلال ورآه الناس واشرتم اليه فماذا تقولون قال اقول : اللهم اهلّه علينا باليمن والايمان ربي وربّك الله . فضحك الامير وقال ليس هذا نعني . فقال القاضي دعني افهمه عن طريق النحو قال الامير ولكن لا تُلقنه. فقال القاضي نريد اذا رأيت الهلال ورآه الناس وأشرتم اليه كيف تقولون من صيغة التفاعل قال تشايروا وعليه قول كثير عزة:

اقول وفي الاحشاء داء مخامر   الا حبذا يا عز هذا التشايرُ

فيصل الثاني

في الحفلة التي اقامتها محطة الاذاعة اللبنانية لذكرى مولد الملك فيصل الثاني

أيُّ يومٍ على الزمان فريدِ ⠀⠀ بشَّرتنا به عـذارى العيدِ
نازلًا في السواد من كلَّ عينٍ ⠀⠀ حاملًا ذكرياتِ ماضٍ مجيدِ
يا لسَيف الُحسين يلمعُ في ⠀⠀ البيد، وجندُ الُحسين ملْءُ البيدِ
ثورةٌ للشريف أضفتْ على ⠀⠀ العُرب بفجر من الحياة جديدِ
حمَلت للشآم تاجاً على خَفْق ⠀⠀ قلوبٍ لها وخفْقِ بُنودِ
فاستوى لحظةً كفتْه، فخطّت ⠀⠀ في جبين الشآم آيَ الخلودِ
أصعدَتْ فيصلَ البطولةُ فيه ⠀⠀ درجـاتِ المسوَّدِ المعبودِ[1]
وحواليه من شبابٍ وشيب ⠀⠀ كل مُستبسل وكل شهيدِ
لم يرُعْهُ المستعمرون ولا ⠀⠀ أجفلَ منهم لعدَّة او عديدِ
غير أن الاقدارَ عز عليها ⠀⠀ أن يُضحَى بحُلمه المنشودِ
فاذا للعراق منه نصيبٌ ⠀⠀ وله في العراق عزُّ الرشيدِ
دولةٌ شادهـا على أُسسِ ⠀⠀ العدل وحب الإصلاح والتجديدِ

---

(١) المراد هنا فيصل الاول جدّ الملك الشاب .

وكساها من عزمه حُلَلَ المجد ومن حِلمِهِ جمالَ الورودِ
فاذا ما تلفَّتتْ نحوَها اليومَ قلوبٌ بالحمد او بالنشيدِ
وابتهجنا لعيد فيصلها الثاني ، فشوقاً لروح ذاكَ العميدِ
تركَ الجدُّ للعروبة غرساً سوف تُجنى ثماره في الحفيدِ

* * *

ايه بغداد ان عيدكِ هذا هو عيد الامال ، عيد الوعودِ
وللبنان حقه في التهاني فهو ما زال ذاكراً للعهودِ
أيد الله عرش فيصل باليمن واحيا بالابن مجد الجدودِ

محمد

قيل في كلية المقاصد الخيرية في عيد المولد

نبيَّ العُربِ ألهمني بيانا ، على عجزي ، أهزُّ به الزمانا
وأرفع للنفوس لِواءَ حقٍ وأبسطه على الدنيا أمانا
واجعلُ في حنايا كلِّ صدرٍ لمولدِكَ المباركِ مِهرجانا

* * *

ألا في ذمّة التاريخ يومٌ به التاريخ ضاءَ وعز شانا
تبلّجتِ الجزيرةُ عن سناه فألبس رملَها العاري جُمانا
وحولَ وحشة الصحراء أنساً وأفسحَ للخلود بها مكانا
ردوّى صوتهُ في كل أذنٍ على الآفاق ، يُطربها أذانا

* * *

رمالَ البيد كم أغريت ظَعْناً فكابدَ فيك من ظمإٍ وعانا
يلجُّ بقفركِ الخاوي حُداءٌ ولا يقضي الحُداء له لُبانا
وما درت القوافلُ ايَّ سرٍ عليه نام صدرُكِ منذ كانا
وايَ غدٍ يُطلُّ به ، جِنانًا وماءٌ كوثرًا يُروي الجنانا
تمرُّ بك الليالي كالحاتٍ ومكّةُ كالعرائس عنفوانا
وفي أجفانها حُلمٌ بعيدٌ تجرّ به المطارفَ ارجوانا

وحول اللاتِ والعزّى طوافٌ يروّعها ، ويستبقُ الأوانا
ونجمُ الجاهلية في أفولٍ وربَّ عُكاظَ معقودٌ لسانا
وأجنحةُ الملائك في الأعالي يمورُ حفيفها آناً فآنا
الى ان شاء ربّك فاستقرّت وقالت للمقدّرِ كنْ فكانا
ومن مهدٍ قرشيٍّ عديمٍ تعالى النور فاكتسح الزمانا
فيا لك مولداً حضنته دنياً ليأخذَ بالهدى الدنيا احتضانا
ويا لك من يتيم عزَّ يُتماً وحلّى الفقر حُلّته وزانا
يُحمّل نفسه زهداً وسُهداً وتشريداً وجوعاً وامتهانا
ولا يَثنيه وعدٌ او وعيدٌ ليلويَ دون دعوته العنانا
يرى في الشمس مطمح ناظريه ويغمرُ وجههَ القمرُ افتتانا
فلو وضعوهما في راحتيه لما رضي التخاذلَ او توانى
حواه «حِراءُ» كنزَ الدهر حيناً ولغزاً في دجى الغارِ استبانا
يروحُ اليه جبريل ويغدو فينفحهُ الفصاحةَ والبيانا
ويُصلِته على الكفّار سيفاً متى يقطرْ دماً يقطرْ حنانا

* * *

وكان هناك في الحُكمِ انتدابٌ على الأعراب يُثقلهم هوانا
فللرومِ الشآمُ عَنَتْ ودانت وللفرس العراقُ عنا ودانا
فحطّم بعد قيصرَ مجدَ كسرى وقال خذوا لوحدتكم ضمانا
واعطاهم على الإسلام ديناً يوزّع في الورى الشيمَ الحِسانا

ولم يجبسْ عن الانثى حقوقاً ... ولم ينقضْ لسلطتها كِيانا
فكان لها جلالُ الأمِ عرشاً ... وإحسانُ النُبوّةِ صولجانا
تُخضّب بالحياء لها جبيناً ... وما خضَبَتْ لزينتها بَنانا
فيا دنيا استعزّي إن فجراً ... جديداً للمكارم فيك بانا
يفيضُ سماحةً ويُشعُ عدلاً ... ويُصْلي من بغى حرباً عوانا
تعاليمُ لو العربُ استمرّت ... عليها ، اين منها أن تُهانا

* * *

يتيمَ الدهر ، للدهر انقلاب ... دها الاجيالَ منه ما دهانا
وهذا اليوم بارقةُ الاماني ... تُطلُّ فلا تضِلُّ بها خُطانا
ليجمعَ شملَه في المجد شعبٌ ... على شرفِ العروبة ما استكانا
ولبنان الذي للضادِ فيه ... منابعُ لم يُفجّرها سِوانا
وقد أبقى له في كل ارض ... يحلُّ بها بنوه تَرجُمانا
يحيّي اليومَ عيدك مستقلاً ... فتملأ بهجةُ العيدِ الجَنانا

* * *

بني امي ، خبَرنا الغربَ دهراً ... وشاهدنا مطامعه عِيانا
فكيف يَغرّنا منه سَرابٌ ... نشدُّ له الرحالَ وما سقانا
تباعدنا زماناً وافترقنا ... فهلّا جاء موعدنا وحانا
وهلّا كان غيرَ الحب حالٌ ... يوحّدنا ويُبلغنا منانا ؟
وما استقلالُنا الا سبيل ... لنوسع في مدى العليا مدانا
ضرَعتُ إلى السماء بحق عيسي ... وحقّك يا محمد أن يُصانا

اول ايلول

أذيعت من محطة إلشرق الادنى بمناسبة تجديد ولاية الرئيس

وطني لروعتِه الكواكبُ تسجُد ... السحرُ بعضُ صفاتِه والسؤددُ
لبنان كم بهَرت بدائعك النهى ... وشدا بحمدك شاعرٌ ومغردُ
ولكم أتاك السائحون فكبّروا ... لجمالِ ما شهدوا وما لم يشهدوا
ما داس ارضك زائرٌ الا انثنى ... وفؤادُه بهوى ثراكَ مُقيدُ

* * *

قلْ للرئيس ، وقد أطلّ على الورى ... ايلولُ يهتِفُ باسمه ويُعيّدُ
عهدان بينهما سناك مفرّقٌ ... هذاك مذموم وهذا يُحمدُ
مشت البلادُ به الى استقلالِها ... يَهدي خُطاها نجمُك المتوقدُ
كم حاربوا ايمانَها ، وتحكموا ... بالحاكمين ، وأبعدوا من ابعدوا
وأبوا على احرارِها دستورَهم ... الا اذا كانت لهم فيه يدُ
فطفَتْ على العرَبِ الاشاوسِ موجةٌ ... حمراء من غضب يُقيمُ ويُقعدُ
ما زال يعصفُ فيهم حتى استوَوا ... والحقُّ حقهم الذي لا يُجحدُ
والأرزة الخضراء تخفقُ فوقهم ... وعلى جوانِبها دم متجمدُ

* * *

جنت السفينة والجواء عواصف | مجنونة والافق اقتم اربد
فأدرت دفتها بكف محنك | وبلغت من غاياتها ما تنشد
فاذا على البلد المفدى سيد | يرعى مفاخره ونعم السيد
واذا بلبنان الكبير كما اشتهى | وبكل ارض ذكره يتردد
وله مع الدول البعيدة موثق | وله مع الدول القريبة موعد
خطت له «الضاد» الطريق فجازها | للمجد يجمع شملها ويوحد
واضاء في افق العروبة فرقدا | لا غاب عن افق العروبة فرقد
لولا فلسطين الشهيدة لم يكن | مهج تسيل ولا عيون تسهد
قد اثخنوها بالجراح ، ولم تزل | تحنو على تلك الجراح وتضمد

* * *

ست شدائد قد طويت ودونها | عزم على هام الخطوب مجرد
ولباقة في الحكم بالغة المدى | وبلاغة في القول لا تستنفد
وعلى الرئاسة منك نور ساطع | وعليك منها جوها المتلبد
إن جددوا لك عهدها فلانها | آمالنا بك يا رئيس تجدد
حققت بالامس الكثير ، وحسبنا | ما فات منها ، ان يحققه الغد

خليل مطران

كانت الحكومة اللبنانية قد كلفت الناظم النيابة عنها في المهرجان التكريمي الذي اقيم في القاهرة للشاعر وهو في قيد الحياة ثم حالت اسباب صحية دون اشتراكه في هذا العيد فلم ينظم من قصيدته سوى الابيات التالية :

من مصرَ جئتُ على رجاء لقاء ... ولمصرَ عدتُ على جديد رجاء[1]

فأنا على الجبل الاشم كما انا ... في مهبط الوادي ، قريبٌ ناء

أضرمتُ نار الحب ملء جوانحي ... وسكبتُ خمرَ الحب ملءَ انائي

فاذا اشار الأرزُ من هضباتهِ ... أبدى النخيلُ خيالَه في الماء

* * *

اخليلُ والتاريخُ ابلغ ناطقٍ ... ببيانك الضافي على الشعراء

هل كنتَ الا فكرة عربية ... شقَّ النبوغُ حجابَها للرائي

لبنان أطلعها على سَفح المنى ... من حالماتِ البحر والصحراء

حَفلَتْ بها الاغوارُ من فلك النهى ... وحبا البيضاءَ بها الى الجوزاء

فسرَت إلى أعماق كلِّ سريرةٍ ... وسمت إلى آفاق كلِّ سماء[2]

---

(١) اشارة إلى اقامة الشاعر في مصر قبل رجوعه الى بيروت .

(٢) اي ان هذه الفكرة جامعة بين العمق والامتداد .

وداع الرئيس دودج

لا تُنكري شدوي ولا تَحناني | القلبُ قلبي والبيانُ بياني
يا دارُ ، عِندي ذمةٌ لكِ لم تزل | ترعاكِ في صدري وفي اجفاني
كم وقفةٍ لي فيك ، كان حديثنا | من بعد ما مرّت ، حديثَ زماني
واليوم اذ يطوي الهزارُ جَناحه | لم يبق غيرُ صداه في الآذانِ
لولا الرئيسُ لما رَجعتُ مجدداً | عهدي ولا عافَ السكوت لساني
قالوا سيرحل عن بلادي في غد | جيلٌ من المعروف والعِرفانِ
ويغيبُ عن لبنان من اعماله | كالشمس مشرقةً على لبنانِ
فأجبتُ ليس بغائب عن موطن | من كان ملءُ مسامع الاوطانِ
أولستَ في ايّ العواصم حاضراً | بالروح بين كتائب الفتيـانِ ؟
كانوا على هذه المقـاعد قبلما | حملوا مشاعلهم لكلّ مكانِ
تلك الرسالة قد نهضت بعِبئها | وكسبتَ فيها السبقَ في الميدانِ
لا الدينُ أوحاها اليك ولا الغنى | لكنها دَفقٌ من الوجـدانِ
فرغبتَ عن عزّ القصور وبذخِها | لتكونَ انساناً مع الانسانِ
هيهات ان يُنسى جهادُك بيننا | ايامَ قلبُ الشرقِ في غليانِ
والحربُ طاغيةٌ على ابنائه | بالجوع والامراض والحرمـانِ
وفقيرُ ذا البلدِ الصغير معذَّبٌ | وغنيّه في غَفلة النشوانِ

فبذلتَ مالَك وادعاً متهللاً ورضيتَ ان تشقى وغيرك هانِ
تسعى على الاقدام وحدك ماشياً من رأس بيروت الى شملانِ
درسٌ على الايام تلقيه لمن قُدّت قلوبهمُ من الصوانِ
ليس الغِنى بالمال يخزنه الفتى إنَّ الغِنى بالخُلق والايمانِ

* * *

وشريكة لك في الحياة عرفتها فعرفتَ فيها نفحةَ الريحانِ
لو ينظم الشعراء بعضَ صفاتها كانت قوافيَ رحمةٍ وحنانِ

* * *

أحببتَ هذا الشرق يومَ عرفتَ ما في الشرق من حُسن ومن احسانِ
فرفعتَ صوتك في بلادك شاكياً مما يلاقي العُربُ من عدوانِ
لو يسمعون إليك لم يعصف بهم طيشُ الغرور ونزوةُ الطغيانِ
ولما تفجرت السماء وارضُها بالمقدسين تفجُّرَ البركانِ
بمعارك جبارةٍ ما خطها اومير في الياذة اليونانِ
وجحيم نار ما تصوّر مثلها فيها تصوّر شاعرُ التليانِ
واها فلسطين الشهيدة قد رأت عيناكِ ما لم تشهدِ العينانِ
لولا شبابُ العرب حولك حُوَّمٌ لم يبق من أملٍ لردّ الجاني
من مصر جاؤوا والحجاز وجلّق يتلهبون لظى ومن بغدانِ
ملأ الفضاء زئيرُهم، ثم استووا فاذا عرينُ الاسد في عمانِ

الله فيما قدّموا في أمسِهم ويقدّمونَ غدًا بلا حسبانِ
وكأن أرضاً خُضِبت بدمائهم أرضٌ زهت بشقائقِ النعمانِ
يا جيشَ لبنان الفتيِّ تحية لو استطيع نظمتُها بجُمانِ
ما انت بالعدد الكبير ، وانما اكبرتُ فيك مواقفَ الشجعانِ

* * *

مولاي عفوًا ، ما اتيتُ مودعاً لاثير فيك لواعجَ الاحزانِ
لكن في قيثارتي وترًا له صوتُ الشجيِّ وأنّةُ الثكلانِ
والثلج في راسي ، ولكن لم يزل في الصدر زوبعةٌ من النيرانِ
ولقد تعشقتَ البلاد كأهلِها لا بدع ان اشجاكَ ما اشجاني
اما الفراق فقد رضينا حُكمَه ما للمُعَنّى بالفراق يدانِ
لكنَّ في الاثر الذي ابقيته أنساً يخفِّف لوعةَ الهجرانِ
فاذا سكتَّ فأنت فينا خاطِبٌ واذا بعدتَ فأنت منا دانِ
تبدو ابتسامتك التي عوّدتَنا خَلَلَ البحار ، وتلتقي الروحانِ

ثم قلد رئيس الجمهورية الرئيس دودج الوسام فأضاف الناظم هذه الابيات :

ومشى الرئيس الى الرئيس مصافحاً وكلاهما في الفضل سبّاقانِ
اعطاكَ ارفعَ ما به يعتز ذو مال وذو علم وذو سلطانِ
تذكارُ تكريم وحسبُ فأنت لا تهتزّ مثل سواكَ للاعلانِ
إن كان يلمع فوق صدركَ نورهُ فوراءَ صدرِكَ منبعُ اللمعانِ

استقبال الملك فيصل الثاني في شتوره

سليلَ المجد والخلقِ الابي — وحاملَ عِطر أنفاسِ النبيّ
وتاجَ النور تعقدُه المعالي — على بغداد في حَرم الوصيّ
ونغمةَ ذلك البيت المُرجى — تُردد في البكور وفي العشيّ
يُرَحِب فيك لبنان ويمشي — اليك بقلب مشتاق وفيّ
وينشُقُ منك امالًا كبارًا — تطالعه على العود الطريّ
ويذكرُ خالك البطلَ المفدى — ومفخرةَ الشباب الهاشميّ
عروسُ الشعر تسعى يا ابن غازي — اليك بخالص الحمد الذكيّ
وما ضرَ العروسَ بياض شعري — سوادُ القلب يخفِق في الرويّ
اذا ملأت سماء الشرق نورًا — مآثر بيت جدكم العليّ
فقد تركت لها في كلّ قلب — هوى، من مسلم او عيسويّ

بيت الدين

دعا رئيس الجمهورية بعض الادباء والصحافيين الى حفلة شاي في قصر بيت الدين فأنشد الناظم هذه الابيات وفيها اشارة الى حالته النفسية في تلك الايام .

ناري ، وما ادراكِ ما هي ناري — الزهدُ والاشواقُ ملءُ إزاري
ما ضقت ذرعاً بالحياة ، وان دجا — أفقي ، ولا ملَّ الغناءَ هَزاري
فاذا رضيت عن الزمان فحيلتي — واذا غضبتُ ، فحيلة الاقدارِ
استلُّ من غسق الحوادث حكمتي — وابثُّها للنفس خلف ستارِ
واقول للقلب الخفوق بجانبي — لبنان شعركِ ، والوفاء شعاري
أنشد له العهد الجديد وصُغ به — اسطورة الابطال والاحرارِ
وأعِد على الدنيا مفاخر بقعةٍ — حملتْ جلالَ الارز قبل الغارِ

* * *

الله ، ما أبهى جبينك يا رُبى — واعزَّ ما حُمِلتِ من تذكارِ
في صرح بيت الدين مجد خالد — وجمالهُ سرٌّ من الاسرارِ
ارئيسنا المحبوب هذه وقفة — في الدار تحيي ذكريات الدارِ

جدّدت سوقَ عكاظ في عرَصاتها | وأبحتَ للشعراء قُدس مَزارِ
كانوا على عهد الامير ثلاثة | فانظر لهذا الجحفل الجرارِ
من كل ذي قلم تضمن حدّه | معنى من الازهار والاطيارِ
واذا أهيب به ليوم كريهة | الفيته امضى من البتارِ
ومن الصحافيين حولك عصبة | روّضتها للسبق في المضمارِ
الباحثون عن الاطايب للنهى | الطابخون لها مع الاخبارِ

* * *

مولاي هذي بنتُ فكر سانح | ساهرتُها ليلي وبعض نهاري
اودعتُها امنيّة لولاك ما | غلب اليقين بها على الانكارِ
ايكون للادباء في لبنانهم | وهو المُشعُّ بساطع الانوارِ
نادٍ ، فيرفع شأنهم ويضمّهم | ويقيهم في العيش كل عِثارِ ؟
لا يُكرم التاريخ شعباً لم ينل | أدباؤه حظّاً من الإكبارِ
ومسطّر التاريخ خصّ أديبه | بالذكر قبلَ كميّهِ المغوارِ
امنيةٌ لا شك في تحقيقها | ما دمت ترعى صائبَ الافكارِ

عمر الداعوق

قيلت في حفلة الاربعين في سينما ريفولي

قالوا ألا ترثي عُمَرْ وهو ابن لبنان الابرّْ
رجلُ الرئاسةِ والسياسةِ والكياسةِ والخَفرْ
حامي المقاصد باعثُ الخيرات من قلبِ الحجرْ
فاجبتُ : إنَّ رثاءه بفم الزمانِ قد استقرّْ
يا يومَ مأتمهِ المُهيبِ وهولَ ذياكَ السفرْ
والآلةُ الحدباء تحمل فوقها بحرًا وبرُّ
الجمعُ خلفَ النعش مكلومٌ تُغالبه العِبرْ
يبكي شمائلَ كالنسيم محمّلًا أرَجَ الزهرْ
وذخيرةً كانت لايام الشدائد تُـدّخرْ
ومُعينَ كلِّ فتى شكا ومُقيلَ كلِّ أخٍ عثرْ
رُكنٌ تهدّم للاخاء وللوفاء وللحذرْ
بل دولةٌ ذهبت بما فيها من الشِيَم الغُررْ

* * *

هل تذكرون جِهادَه الماضي وعهدًا قد غبرْ
ايام كان الناسُ في حربٍ وكنا في خطرْ
فأتى بخبزٍ للجياع وردَّ عاديةَ الغِيَرْ
واقام حُكماً صالحاً ما عابهُ الا القِصَرْ
ثم انثنى يُذكي العزائمَ أو تُفيقَ من الخَدَرْ
يستهدفُ الاصلاحَ في شتى الحقولِ بما اشتهرْ
علمٌ وتضحيةٌ واقدامٌ وبُعدٌ في النظرْ
لا الضغطُ يَثنيه ولا تعبُ الجهاد ولا الكِبرْ
فكأن جُلَّ حياته وقفٌ على نفع البشرْ
هي صفحةٌ تبقى على الايام ناصعةَ الصورْ
عِبرٌ من الماضي الى الجيلِ الجديدِ المنتظرْ

* * *

يا هاجرًا أحبابَه ما انتَ آخرَ من هجرْ
مرّتْ عليك الاربعون ولا جوابَ ولا خبرْ
لكنَّ رسمَك لم يزل ملءَ البصائرِ والبصرْ
وانا الذي ان يفتخر فبودِّكِ الصافي افتخرْ
كم كنت ارجو لو نظمتُ لك الرثاءَ من الدررْ

ناجيتُ فيك قريحتي فشكت وأعياني السَهَرْ
ما حيلةُ القلبِ الكسير وقبله القلمُ انكسرْ
قلمي الذي حطمته من بعد ما ذُقتُ الامرْ
ورأيت أقدارَ الرجال تضيعُ في عهدٍ اغرْ
لولا هوى لبنان، يُطربني وإن شذَّ الوترْ
لبلغتُ في الشكوى المدى حتى يقالَ فتى كفرْ
ما قيمةُ الوطن المُدلّ وفيه تنتحرُ الفِكرْ
ماذا هناك، فلا ارى الا ضمائرَ من مدَرْ
والناس في سوق النفاق على وفاقٍ في الضررْ
بغض واطماع وتفرقةٌ واشيــاءُ أُخرْ
غِيض الوفاءُ فلا غراسٌ في الرياض ولا ثمرْ
وقسَتْ قلوبُ الناس حتى الجندلُ القاسي انفطرْ
كم من غنيّ ماله كالغيم محبوس المطرْ
فكأنه بين القصور موسَّدٌ طيَّ الحفرْ

* * *

عفواً بني امي ففي كأسي الشرابُ حلا ومرْ
انا في الحياة اخو طريق عابرٌ فيمن عبرْ

لم يبق لي من صحبة الايام الا ما ندرْ
لا شيء يربطني بها سيان صفوٌ او كدرْ
حرٌّ من الرغَبات والرَهبات ، من خير وشرّْ
لكنني ما زلتُ اطرَبُ الحميدِ من السيرْ
وأرى الحقيقةَ أن تقال ولو بها النفسُ استعرْ

* * *

واذا بكيتُ على عمر أيردّه لكم القدرْ
إن الخسارةَ لا تعوض والحكيمُ من اعتبرْ
فمشى على اثاره ليغيبَ محمودَ الاثرْ

٢٣ ك ١ سنة ١٩٤٩

الى كاتبة[1]

يا هند ما هذي الطلاقة في المحيا واللسانِ
افما كفى سحرُ اللحاظ فقلتِ خذ سحرَ البيانِ
ونقلتِ ياقوتَ الكؤوس من الشفاهِ الى البنانِ
فسكرتُ ما بين السطور بما سكبتِ من المعاني
ورجعتُ والاشواق بي كالنار تأكل من جناني
يا هند حسبُكِ أن لي قلباً غنياً بالأماني
حمّلتُه ثِقلَ المشيبِ فما سلوتُ وما سلاني
رغمَ الزمان جعلتُه وقفاً عليك مدى الزمانِ

١٩٥٠

(١) هي هند سلامة صاحبة كتاب النسائيات في التوراة . وقد اجتمع اليها الناظم في النادي الدولي الى مائدة سمر فارتجل هذه الابيات ساعتئذ .

قالت

قالت أودُّ بأن يكون هواكَ لي ... حبًّا تنزّه عن عيوب الناسِ
يسمو بنا نحوَ السماء فلا نرى ... في كأسِنا إلا صفاءَ الكاسِ
ونعيش بالروحين يجمعُ بيننا ... أدبُ الحياة ورقّةُ الاحساسِ
وتكون لذتُنا التي لا تنتهي ... خمرَ الحديث يطيب في الانفاسِ
فتعود روحي بعدَ طولِ عَذابها ... مغمورةً باللطف والايناسِ
وينالُ قلبي بعد طول عِراكه ... فوزًا على قلبِ الزمان القاسي

فاجبتُها اوليس هذا مذهبي ... في الحبّ تعرفني به جلّاسي
تتحطم الشهواتُ عند إرادتي ... وتمرُّ مثلَ سحابةٍ في راسي
ويخونُني أملي فتغسلُ عزتي ... جرحي كما غسل الجراحَ الآسي
لكنّ حظي أن أعيشَ مُعذباً ... والحبُّ يربطني إلى أمراسِ
مِن كبرياء النفس عندي ثروةٌ ... لكنها شرٌّ من الإفلاسِ

وارحمتاه للوفيّ اذا غدا ... فيه الوفاءُ مسربلًا باليأسِ
في وحدتي تُبلي الدموعُ محاجري ... وأظلُّ مبتسماً امام الناسِ
يتنادمون على هديل قصائدي ... وتدقُّ في نعي المُنى أجراسي

تموز سنة ١٩٥٠

عيد الرئاسة

قيلت في بيت الدين في ٢١ ايلول سنة ١٩٥٠

عيدَ الرئاسة لا عدِمتك عيدًا ... يَبلى الزمان ولا تزالُ جديدا
أحيي بك التاريخُ ساعاتٍ مضت ... كم بيَّضت وجهاً وحلّتْ جيدا
عصَف الجهادُ بها فكان صواعقاً ... وتفجَّرت مهجٌ فكنَّ نشيدا
وحنا على لبنان أفئدة له ... كم سِلن انداء، وصُلن حديدا
حتى اضاء الافق باستقلاله ... وتعطَّرت أجواؤه تجويدا
عيدَ الرئاسة ايَّ قلبٍ لم تجد ... فيه لك التمجيد والتأييدا
لكَ كلَّ عام زورةٌ محبوبةٌ ... توحي بها لي في الحبيب قصيدا
وانا الذي في كل ما خطّت يدي ... ما زلت عن مدحِ الرجال بعيدا
حقٌّ لهذا العهد ان يبقى به ... لبنان يرعى للرئيس عهودا
ساسَ البلادَ بحكمة ولباقة ... «سبعاً» وأرضى سيّدًا ومسودا
«والباقياتُ الخمس» سوف نرى بها ... إن شاء ربّك للفخار مزيدا
فتَظل في افق الزمان مضيئة ... حتى نرى لضيائها تجديدا...
ويعود شعري كل عام منشدًا ... عيد الرئاسة لا عدمتك عيدا

ليلة انس

وأحيى السيد بولس فياض ليلة انس وسمر في داره بعاليه جمعت بين رجال الحكومة والوجاهة والأدب، وطُلب من الناظم أن يستعد لإلقاء كلمة فيها فألقى في منتصف السهرة هذه الابيات :

يا جلسةً في دار بولس ما مللتُ بها جليسي
فنعمتُ بالنظرات والبسماتِ والقدِّ الميوسِ
وفتحتُ نحو الأفق باب السجن للقلب الحبيسِ
ولبستُ من طرب الشباب ونشوة الذكرى لَبوسي
يوم الخميس، جمعت فيك العمرَ يا يوم الخميسِ

* * *

لبنان أنت على الشفاه وفي العيون وفي النفوسِ
تترنم الدنيا بما أودعت من كنزٍ نفيسِ
في جوِّك الصافي وطيب شذاك، والليل الأنيسِ
ومناظر تختال فيها كالقلائد للعروسِ
خلفَ البحار رجالك الاحرار شامخة الرؤوسِ

وهنا الوفا بعد الجفا وتبسم الدهر العبوسِ
وهنا الأمان ، وإن تك الأهواء حامية الوطيسِ
وطني فداك دمي ، ولو اسطيع قلت فداك كيسي
الهمتني بالأمس از كى ما يُراق على الطروسِ
واليوم حسبي منك ليلتنا المضيئة بالشموسِ
أعددت من شعري لها خمرًا تُدار بلا كؤوس
أدعو للبنان الحبيب بها وادعو للرئيسِ



في مهرجان الكتائب سنة ١٩٥٠

١٩ (نوفمبر) في الروكسي

لا تحسبي أني رميتُ سلاحي — من بعد ما نَزَل المشيبُ بساحي
تلك الخيوطُ البيض تكسو هامتي — هيَ من غُبار وقائعي وكفاحي
أنكرتُها زمن الشباب، فمذ بَدَتْ — أوقدتُ تحت شعاعها مصباحي
وأبحتُ للأحلام ميداناً بها — جدَّدت فيه همتي وطِماحي
تُبدي لي المرآة ما تركته بي — غِيَرُ السنين، فأستلذُّ جراحي
وأحس أن وراءها قلباً له — في ذمة العَلياء خفقُ جناح
كم سُطِرَتْ للحب فيه آيةٌ — تبقى على رُغم الزمانِ الماحي
ولكم همزتُ به جواد قريحتي — فشدا على دقّاته صدّاحي
واليوم إذ شطَّ المزارُ فلا أرى — في موكب الماضي سوى اشباحِ
وخبَت على الأعصاب ثورتها فلا — سكراتُ احداقٍ ولا اقداحِ
وتملّت العينان والشفتان من — وجنات وردٍ او ثغورِ اقاحي
لم يبق للفكر المشرَّدِ غيرُ ما — عوّدتُ، من سطوٍ على الأرواحِ
أُلقيه في حِضن النجوم مع الدجى — وارُدُّه للشمس كلَّ صباحِ
وأقول للقلم المهاهل في يدي — هل في مدادِك غيرُ ما في الراحِ؟
ليس التجعدُ في الجبين بضائري — ألسرُّ تحت جبينك الوضّاحِ

وصريرُك الهادي احبُّ اليَّ من — نجوى البلابل في ذرى الأدواحِ
واللذةُ الكبرى لنفسٍ حرّةٍ — هي ما تنمّقه على الألواحِ
إني صحوتُ من الهوى، لكنني — من سكرة الإبداع لستُ بصاحِ

* * *

بل كيف اصحو والكتائب جنتي — اشدو بها في غُدوتي ورواحي
توحي روائعُها البيانَ لخاطري — فاعود منها بالشذا الفوّاحِ
أنشدتُها بالأمس شعرًا خالدًا — أطلقت فيه للنجوم سراحي
واليوم عدتُ بعيدها، أيعوقني — ما راح من عمري وطيب مراحي
وانا الذي جدّدتُ فيها صبوتي — وجعلتُ مِن افراحِها افراحي؟
قل الذين تنكروا للوائها — فطواه جِدٌّ منهمُ بمُزاحِ
ما المالُ، ما الامالُ، ما الكاس التي — نحسو بها، والماء غيرُ قَراحِ
وبكل صدرٍ لوعةٌ مشبوبةٌ — وبكل ناحيةٍ صدى لنواحِ
والحربُ لم تترك بقية رحمة — للعامل المسكين والفلّاحِ؟
إلا الحقيقة لا عزاء لمؤمن — نشد الصلاح وعاش للإصلاحِ
وهي التي تُعطي الكتائبَ لونها — من جرأةٍ وتجردٍ وسَماحِ

* * *

يا ايها النشُ الجديد تباركت — لك هِمةٌ شُحذت ليوم كفاحِ
جئتَ الزمانَ وفي السماء سحائبٌ — سودٌ، وفي الآفاق عصفُ رياحِ

ففتحتَ صدركَ للمكارم والعُلى ... وكبحتَ بالايمان كلّ جماحِ
قرّبتَ نازحةَ القلوب ، ولم تزلْ ... حتى فرشتَ الوردَ للنُزّاحِ
واتحتَ جمع الشمل وهو مشتّتٌ ... عبرَ البحار ، وكان غيرَ مُتاحِ
هذا الشباب ، وما أحيلى عهده ... هل كنتَ فيه سوى الفتى المسماحِ
حوّطتَ بالعمل المجيد سفينةَ ... العهد الجديد وجرأة الملّاحِ
شمخَتْ تشقّ الليل ، ليست تنثني ... عن غايها الا مع الإصباحِ
ومضت بمجذافين فوق عبابها ... من ذات أسورةٍ وذي أرماحِ
فاذا الانوثة كالرجولة ، قوة ... تطأ الصعابَ بوقدة الملحاحِ
وتدور في الجسم الأشل عزائماً ، ... ومراحماً كمباسم التفّاحِ
مرحى ، فتاةُ الحيّ تنزل للوغى ... وسلاحُها بالروح خيرُ سلاحِ
أدبٌ وتضحيةٌ ، وغضبة ثائر ... كمنتْ كمون النار في القدّاحِ
هي قوة الحق الصراح يُعدّها ... وطني ليوم كريهة وتلاحي ...
لكن هنالك في الاضالع دُمّلٌ ... ما زال يُعجزُ مِبضعَ الجرّاحِ
الطائفيةُ ظلمة الشرق التي ... كادت تميل بنوره اللمّاحِ
هيهات تفريها حكايةُ مصلحٍ ... أو زفرة الشاكي ولوم اللاحي
أقسمتُ بالحرف الذي حمل الضيا ... والماء للأعمى وللملتاحِ
أن ليس كالحب الصحيح مُروّض ... للروح يهديها لكل صلاحِ
نحر الدجى بالنور من مصباحه ... فاذا الدجى شِلوٌ على المصباحِ

وإذا نفوسُ الناس مشرقة الكُوى عُدن الصحاحَ وكن غير صحاحِ
وانا الذي صحب اليراعُ يديَ ، ولم أبرح له حتى يجين براحي
لو لم تكن للحب فيه دعوتي لا كان لي قلمي ولا لي راحي[1]

* * *

لبنان يا أُنس القريب ووحشة النائي الغريب ، وقبلة السيَّاحِ
كم في كتابك من معانٍ أُزلت للحب ، بين مشارف وبطاحِ
نَوْح النسيم ، وبوْح ازهار الربى وشجونُ بدرك ، والنهار الضاحي
والليل والامواج والهمسُ الذي في الغاب اوفي النبع اوفي الواح[2]
إن تعصِف الدنيا بأحقاد الورى فالقلبُ عندك في امان جَناحِ[3]
هذي جنودك أَقبلت وبنودها من سورة نسجت ومن اصحاحِ
بارك عليها ، كالالوهة عانقت ابناءها فهم كجُمْع الراحِ[4]
عزّت مشابكها على كيد الأُلى يتصنعون بادمع التمساحِ
وانشَقْ اريج العيد في أغنيَّة ريانة الانداء والأَرواحِ[5]
من خلجة القلب الطهور جبلتها وغمستُها في طيبك النفَّاحِ :
يا أَرزتي الخضراء تيهي واخفقي بدمٍ على الجنبين ، فيك مُباحِ
لي منكِ حُلمي في الحياة ويقظتي ولكِ الصلاة عشيتي وصباحي

(١) جمع راحة اي الكف
(٢) جمع واحة
(٣) الجَناح : الكنَف .
(٤) كجُمْع الراح اي كالكف المقبوضة.
(٥) جمع روح اي نسيم .

اشعار الخداع والحب

الخداع والحب رواية تمثيلية لشلر الالماني نقلتها الى العربية ايام الشباب مع صديقي المأسوف عليه نجيب نسيم طراد سنة ١٩٠٠ وقد مثلت في دار قونصلاتو روسيا ثلاث ليالٍ متواصلة ووقف ريعها للجمعية الخيرية .

موضوعها : ان فرناند فتى من النبلاء كان يتردد على معلم موسيقى فعلق بحب ابنته لويز وكان والد فرناند امين سر الدولة مشهوراً بالطمع والإجرام فلم يرق لعينيه هذا الحب وحاول بشتى الوسائل اقناع فرناند بالعدول عنه فلم يفلح فعمد الى الحيلة والدس وارغم الفتاة المسكينة على كتابة رسالة غرام الى حبيب مزعوم ، بعد ان انتزع منها اليمين المغلظة لكتمان السرّ او تُعاقب بسجن ابيها وتعذيبه . ونجحت حيلة الاب فوقعت الرسالة الملفقة بين يدي فرناند وأثارت فيه الشكوك واعترفت لويز بها لانها كانت مقيدة باليمين فنزل جوابها كالصاعقة على فرناند فتناول كاس ما. وغافلها وصب فيه السم وشرب وسقاها .

من مشاهد الفصل الاول بعد عتاب والد لويز ونصحه لها بترك حب الامير تقول لويز :

تركتُ الصلاةَ وعفتُ التقى	واصبحتُ بين الهوى والقدَرْ
تُنازع نفسي صروفُ الغرام	وتنزعُ صفوي صنوفُ الكدَرْ
وفي الصدر مني عواطفُ وجدٍ	اذا سكنت قلبَ غيري انفطرْ

كفرتُ لاني هويتُ ، ولكن ... أيؤمِنُ مَن بالهوى قد كفرْ
إلهي سألتـك عفوًا وحلماً ... فانت المصوّر تلك الصورْ
اذا ما شُغلت برسمك عنك ... وذلك ذنبي الا يُغتفرْ

ثم تقول :

لم انس اول مرة شاهدتْه ... فيها وقد صبغ الحياءُ جبيني
وشعرت أن القلبَ زاد خفوقه ... لتأثري ، فسندتُـه بيميني
وسمعتُ صوتاً في ضميري صارخاً ... « ها هو » فما كذّبت فيه ظنوني
فشعرتُ حينئذٍ لاوّل مرة ... بالحبّ اشرق نورُه يَهديني
وتنازعت نفسي عواطفُ لم اكن ... أدري حقيقة سرِّها المكنونِ
وعواذلي كثروا عليَّ ولو دروا ... ضعفي وقوةَ حسنِه عذروني

* * *

ودّعتُ يا اماه آمالي به ... عِبرَ الحياة ، وما الوداعُ يقيني
لكنه لا بدَّ من يوم بـه ... ذاك الذي سيميتني يحييني
اذ ذاك لا نسبٌ يفيد ولا غنى ... لكن فَقري وحـده يغنيني
اذ ذاك لا تجدي الملابس والحلى ... لكن ثوبَ طهارتي يجديني
اذ ذاك لا تُعلي المراتب اهلها ... أمـا انا فوداعتي تُعليني
ومتى علوتُ اعودُ غيرَ حقيرة ... في عينِ من أهوى وذا يكفيني

وهنا مشهد اجتماع فرناند بها بعد ما قاسته من لوم ابيها الذي لا يعتقد باخلاص فرناند نظرًا لما بينهما من تفاوت النسب

فرناند

اذكى السلام عليك يا غصن النقا — من مدنف بهواكِ بات معلقا
حمَلته اجنحةُ الصبابة والهوى — فعساه أن يلقى جَنانَك مورقا

لويز

وعليك

فرناند

لكن ما لوجهك اصفر — وعلام جفنُك بالدموع اغرورقا

لويز

لا شيء

فرناند

بل في الامر سرٌّ مغلقٌ — لا تجعلي للحبِّ سرًّا مُغلَقا
فمتى صفت مرآة قلبك لي فقد — صفتِ الحياة ونجم سعدي أشرقا

لويز

هذا كلام لا يفيد صبيـة — مسكينة الا جوى وتحرُّقا
ما اقبح النسبَ المفرّقَ بيننا — ما احسن الُحبَّ الذي ما فرّقا

فرناند

عجباً فما معنى كلامك ذا ومَن — أوحى اليك اليوم هذا المنطقا
اولستِ انت نصيبَ مهجتي التي — قنعَتْ من الدنيا بحبكِ موثقا
أنتِ التي أسرتْ فؤادي بالهوى — إن أطلقته فليس يحيا مطلقا

لويز

فرناند، لا تسدُل على عيني من حجب الهوى ستراً أراه ممزّقا
عبثاً تحوّل ناظري عن لُجة لا بدّ في اعماقها أن اغرقا
ضعتي ومجدك مانعان لدى ابٍ بمصيبتي هيهات ان يترفّقا
فرناند هم يسعون في تفريقنا فاحرم حياتي قبل حرماني اللقا

فرناند

تفريقنا؟ ومن الذي يقوى على قلبين ضمهما الهوى ليفرقا؟
إن كنتُ اعرق منكِ في نسبٍ لدى قومي، فلستُ لدى إلهي اعرقا
والله في عينيكِ خط نصيبنا وأراه من تاريخ مجدي اصدقا

لويز

وابوك

فرناند

ماذا يستطيعُ

لويز

أخافه إذ لا اراه على شبابك مشفقا

فرناند

انا لا اخاف سوى فتورك في الهوى فسوى فتورِك في الهوى لا يُتقى
لا شيء يمنع رسمَك المعبود عن عيني، ولو حملوا الطلاسمَ والرُقى
كلّا، ولو جعلوا الجبالَ موانعاً لجعلتها لك يا لويز مرتقى
والدهرُ ان يقصد معاندتي فلا ازداد الا قوة وتعشُّقا

واذا تمثل لي القضاء معارضاً عارضتُه... وسألتُ ان يترفقا
ومُناي ان لويزتي تحيا معي لتذوق من كأس الحياة الأروقا
لتكون تربةُ أرضها زهرًا وجوّ سمائها عطرًا ، ونورًا مشرقا
لأظلَّ أسقيها السعادة من يدي فبغير كأسِ الحبِ ليست تستقى
لتعودَ لله العلي كما أتت ، بل كي تعودَ اليه أبهى رونقا
فيرى بان الحب يقدرُ وحده يُعطي خليقته الكمالَ المطلقا

لويز

إن المحبَّ سعيدة احلامهُ لكن تخبَّأ خلفَ يقظتِهِ الشقا
فرناند ، سامحك الإله فطال ما صوّرتَ لي عيش الغرام مزوّقا
هي شعلةٌ أضرمتَ افكاري بها فسرى الى قلبي اللهيبُ فأحرقا
هيهات تطفأ نارها الا إذا انطفأ الضياء بناظري ، وانك البقا

ثم يأتي ابوه معاتباً ومذكرًا بفضلهِ عليهِ ورغبته في ترقيته وما فعل وارتكب من اجلهِ .

الاب

افرناند قل لي لمن قد ركبتُ المخاطر بُغيةَ امرٍ خطير
فوجهتُ نحو الامارة طرفي وصوّبتُ سهمي لقلب الامير
وأضرمت نار العداوة بيني وبين السماء ، وبين الضمير
وقل لي لمن قد قبلتُ الرئاسة من بعد قتلي الرئيس الكبير
ومن قادني لارتكاب المعاصي وطوّحَ نفسي بهذا الغرور

فرناند

أعوذ بربي من أن تكون فعلت لاجلي هذي الامور
وأخلقُ بالمرء أن ليس يخلق من أن يسبب هذي الشرور

الاب

رويدك فرناند لا تغضبنّ أهذا جزاء ابيك الغيور
جعلت لاجلك ليلي نهارًا وصفوي اعتكارًا وعفت السرور
وذاق ضميري لسعَ العقارب منك وانت عديمُ الشعور
نعم انا اقبل صاعقةَ الانتقام ولعنة اهل القبور
وَرِثْ انت مجدي وخلِّ ذنوبي أعذّبُ فيها بنار السعير

فرناند

انا لست ارضى بارثِ ذنوب ابي فيه تبقى ليومي الاخير

الاب

ولكن اتنسى بانك لولا مكايدُ سعيي لعشت فقير

فرناند

احبُّ اليَّ من المال فقرٌ ففي شرفِ الفقر مال كثير
وافضلُ لي الزّحفُ فوق التراب من السيْر زحفاً لاوج السرير

وفي الفصل الثالث مشهد بين فرناند ولويز (بعد ان يكون الاب العاتي قد اجتمع اليها على حدة وتوعدها اذا هي لم تترك حب فرناند، فيعرض هو عليها الفرار معهُ.

لويز

قد كان امرنا في الحب ما كانا والآن عهد انفصالي عنك قد آنا

قطعتُ كل رجاءٍ في هواكِ ، وقد   اصبحتُ ارجو من الأيامِ سلوانا

فرناند

أتيأسُ لويزُ من حبي وقد علمتْ   أني اتخذتُ الهوى ديناً وايمانا

وانني مستعدٌ ان اكونَ على   مذابحِ الحب والإخلاص قربانا ؟

لتجمعِ الأرضُ قوّاتِ الجحيمِ فلا   تُزعزع اليومَ من حبيك بنيانا

وإن تكن رضيتْ عني لويزُ فما   يهمُّني والدي ان بات غضبانا

قد رام إطفاءَ قلبٍ فيك مشتعلٍ   فسوف اجعلُ منه القلبِ شعلانا

واظهرُ اليومَ اسراراً مخبأة   يلقى الفضيحةَ فيها كلُّ من خانا

سالمته فأبى الا محاربتي   فسوف يرجعُ من ذي الحرب خذلانا

والحب عذري بكفراني بحق ابي   فقد بغى بحقوق الحب كفرانا

شرائعُ الحبّ في عيني مقدسةٌ   لذاكِ كلُّ عزيزٍ دونها هانا

لويزا قد عنّ لي فكر ، وياطربي   إن تمَّ لي وعن الاوطان اقصانا

وهل لنا بعدُ ما نسعى اليه ، وهل   يجدي البقاءُ لنا في ارض اعدانا

كأنَّ غير مياه «الرين» ليس لنا   ما يعكس اليوم نوراً منك فتانا

أشعةُ الحبّ من عينيك مُرسلةٌ   تضيءُ ظُلمةَ قلبي اينما كانا

وما بلادي سوى أرضٍ حللتِ بها   أيان سرتِ ارى اهلاً واوطانا

هناكِ يا منيتي إن كان ينقصنا   عزُّ القصور فعنه الله اغنانا

إن لم نجد هيكلاً لله ، نعبده   فيه ونسأله عفواً ورضوانا

يُرخي ستائرُه الليلُ الرهيب على   رؤوسنا وسكونُ الكون يغشانا

ويطلعُ البدرُ فوق الأفق يأمرنا بتوبةٍ ونجومُ الليل ترعـانا
هناكَ تحلو مناجاةُ الغرامِ لنا ولا نخافُ من الحُسّادِ عدوانا
ونظرةٌ منكِ تنسيني الحياةَ ، فلا اعودُ من حلم حبي فيك يقظانا

ولكن لويز ترفض السفر معهُ . ثم تحمل الدسائس عملها وهنا يستكتبها ابو فرناند مهدداً اياها بالحبس وقتل والديها ، كتاب غرام الى شخص ثالث معروف في القصر ، ويقع الكتاب بين يدي فرناند فيصدق ما فيه ويستولي عليه اليأس فيقول :

لا ، لا اصدق ان تحت ظواهر ملكيةٍ تخفي الحقيقـة ارقما
لكنما ذا الخطّ ، خطّ بنانها لو كان يُمكنه الكلامُ تكلما
خط ، فلو هبطت ملائكة العلى لم تقوَ معه ان تُبرأ منهما
ذا خطُّها مُدّتْ الى تسطيره يدُها التي مَدّتْ اليّ لتُلثما
يا ويحها ، سفكت مدادَ دواتِها بحروفـهِ ، لكنها سفكت دما
الآن قد ادركتُ كيف تمنعت من ان توافقني على ترك الحمى
قبلت بإبعادي ، وتلك ضحية ما كنتُ احسبُها خداعاً قبلما...

* * *

من ذا يصدق... بعد ما اتّحدت عواطفنا ، واصبحَ قلبُها بي مغرما ؟
كانت رفيقي في الهوى ، قطعت معي غاباته ، ورمت لأبعد مرتمى
وتسلّقت قمم الغرام ، ومذ رأت وادي الشقا لم تخش ان تتقدما
فتحملتْ الم الصبابة والهوى لتُطيع من تهوى وتعصي اللوّما
وتألمت وبكت... ولم يكُ كل ذا الا خداعاً ضعتُ فيه توهما

إن كان ايتها الابالس قوة ... للمكر ان تخفي الحقائق مثلما...
فعلام حتى الان لم تتمكني ... بدهاك من ان تخرقي باب السما

* * *

لما كشفتُ له مخاطر حبنا ... واريتها وجهَ الخلاص ليسلما
ما كان اسرع ما تبدلَ لونها ، ... تبدي التأثر وهي تُضمر عكس ما...
وبأي مظهر عزة وشهامةٍ ... غلبتْ ابي إذ جاءها متهكما
وبأي معتركٍ شديدٍ هوله ... أغمي عليها دون ان تتألما
تالله يا لغةَ الخداع فما الذي ... أبقيته للصدقِ كي يتكلما
يا ايها الاخلاص ماذا ترتدي ... ان كان ثوبك للخيانةِ سُلما

* * *

لله اول قبلةٍ قبلتُها ... قد كان مثلَ في فؤادي مُغرما
وعواصفُ الاهواء فيَّ عظيمةٌ ... لكنْ عفافي كان منها اعظما
افلم يكُن إذ ذاك بين ضلوعها ... الا البرودةُ والجفاء كما هما؟
كم كنتُ اشعرُ عند تطويقي لها ... أن النعيمَ براحتيَّ تجسما
وفؤادها اذ ذاك لم يك شاعراً ... بسوى جريمتها ... ولم اك مجرما .

ثم يعزم على قتلها والانتحار من بعدها فيقول وهو حتى الساعة لم يجتمع اليها ليتحقق صحة الرسالة .

قربتْ ساعةُ الهلاكِ فاهلا
انا يا لويز قربكِ أحلى
فلتموتي معي فموتك واجبْ

لا وحقّ السماء لا بد منها
فهي ملكي ولستُ اصبرُ عنها
لستُ ارضى بأن اموتَ وتبقى
بعدما عشتُ في الصبابة معها
وارتني الشقا ولم تك تشقى
كان لي في الشباب حُلمٌ تجلى
بمجالي الغَرام ، واليوم ولّى
ومعِ الحُلم كلُّ عمري ذاهبْ
فاستعدي ، فما رسولُ الهلاكِ
غير صبّ بالامس كان فداكِ
واحجبي وجهَك المخادع عني
انا ما عدت قادرًا ان اراكِ

* * *

يا الهَ الوجود دَعها ودَعني
أتولّى تعذيبها بيديّا
قد تخليتُ عن جميع الخلائقْ
لك يا ربّها فعنها تخلَّ
وبها اليوم لا تطالب شقيًا
غيرها في الوجود لم يك طالبْ

واخيراً هذا المشهد من الفصل الخامس عندما جاء فرناند لويز، لا يعرف كيف يبادئها الحديث. يمنعه فيري من عذوبتها ما يلجم لسانه، وتقبل هي عليه فترى في وجهه ما لا تعهد فترجع خائفة حائرة. تعرض عليه الغناء فيرفض، واللعب فيأبى والقراءة فلا يجيب. تقول ويصمت وتبسم ويعبس وتجدّ حيناً وتهزل ولا تدرك من سبب لهذا الغضب وهو يتململ ويتعذب ويعض على شفتيه الى ان يطفح الكيل فيصيح بها :

كفّي خداعك يا شقيّةُ وارجعي ... فلقد شفيتُ من الغَرام الموجعِ
واسترجعي تلك اللحاظ، فلم ادع ... لسهامها في مهجتي من موضعِ
وتقدمي يا حيّةً لم تنخدع ... عيني بها الا لتجلبَ مصرعي
قومي، اهجمي، انتفضي امامي، واظهري
في هول منظرك القبيـح المُفزعِ
وتجردي من صورة ملكية ... ما كان لولاها اليك تطلعي
وليحتجب ذاك الملاك فلم يعد ... لي في الملاك وقربه من مطمعِ

* * *

انا لا أدينك يا الهي، انما ... لمَ تنقض الدنيا شرائعها معي
لِمَ هذه الكاس الجميلة، إن يكن ... لا شيء فيها غير سمّ مفجعِ
صوّرتَ اجمل صورة، وجعلتها ... ستراً لأقبح ما خلقتَ واشنعِ

* * *

وعلام ذا الصوت الشجي كأنما ... نغماتـه سحرٌ يمرّ بمسمعي
هل يُحسن الوترُ المقطعُ يا ترى ... لحناً كهذا اللحن غير مقطعِ

(وينظر اليها بعين سكرى بالحب)

لا عيب فيها، لا تنافر... كلها ... حسن يدل على اعتناء المبدعِ
الا الفؤاد... كأن ربك لم يطق ... إبقاء صنعته بغير تصنعِ

الويز بالله اذكري زمن الهوى ايام قلبي عنك غير ممنع
ايام كاشفنا الصبا اسراره وانا وانت من الصبابة لا نعي
ايام كنت اظن ان سعادتي في قبلة تُطفى وتلهب اضلعي
الويز هل اذنبت نحوك يا ترى حتى صنعتِ معى الذي لم اصنعِ
انا ما قطعت صلاتِ حبك مرة فبما اسأتُ اليك حتى تقطعي ؟

لويز

ابكِ ابكِ يا فرناند فبكاؤك اعدل من غضبك

فرناند

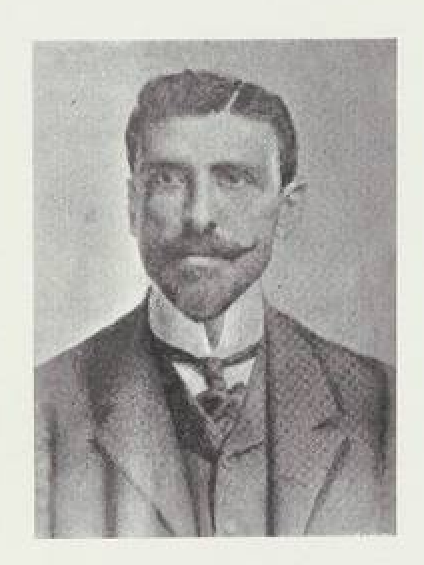
اخطأت، ماهذي الدموع من الاسى حتى تبرّدَ لوعةَ المتوجع
هـذا وداعي الهائل الابديّ للحب الذي بجناه لم اتمتعِ
انا لست ابكي يا لويز عليّ، بل ابكي عليك فلا تغرّك ادمعي
قمر بافق الحب ما حييته حتى هوى، فكأنه لم يطلعِ
أبكي على امل السماء لانه قد ضاعَ فيك وكان غير مُضيعِ
ان الحداد على الطبيعة واجب فاعزُّ من فيها اليها قد نعي

* * *

واحست لويز بفعل السم وعرفت بدنو الاجل فلم يبق من سبب لإخفاء الحقيقة لان الموت يحل كل قسم ولكن سبق السيف العذل

لا تخافي هول الفراق فنفسي لم تزل يا لويز تصبو اليكِ
لستُ ارض الحياة عنكِ بعيدًا ولهذا... اموت... بين يديكِ

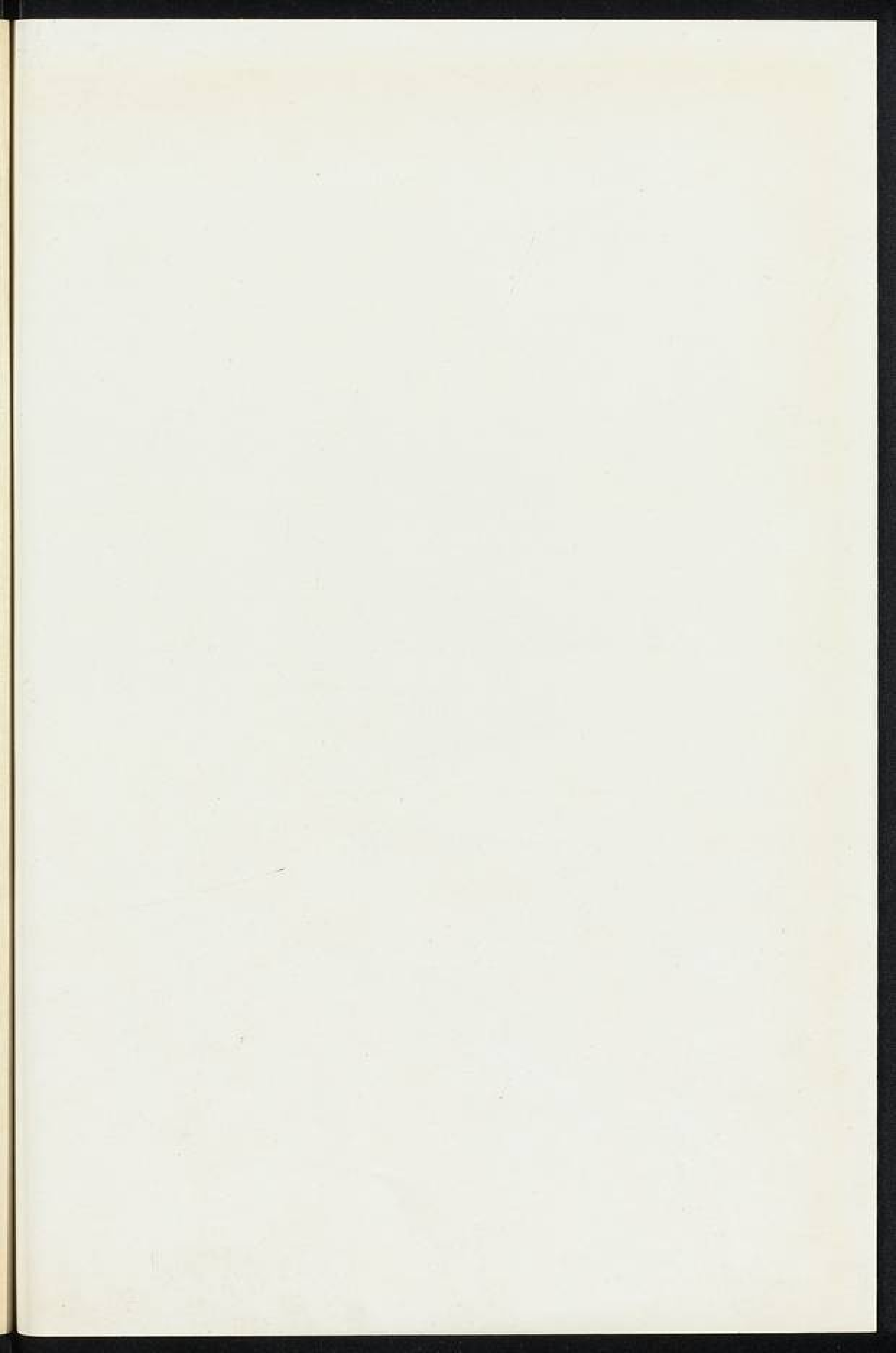
تمت ١٩٠٣



الدكتور نقولا فياض

في السادسة والعشرين

١٩٠٠



من شعر الصبا

ما نُظم بين العاشرة والعشرين

من قصيدة في مدح معلمه المرحوم نعمة يافث وهي من اوائل نظمه

خيرُ الكلام الذي ترجوه ما صدقا ... وافضل الناس من بالصدق قد نطقا
ومن يقل غير ما تطوي ضمائره ... فذاك غرّ تخطى الجهل والحمقا
يخوض في المدح لا إظهارَ مأثرة ... بل قصد كسبٍ فيفني الحبر والورقا
يقول وجهك بدرٌ إن اتيح له ... مالٌ والا فوجه يشبه الغسقا

* * *

قف في ربى الشعر وانشد حكمة سطعت ... انوارها في سماء العلم مؤتلقا
يحلو المديح لذي علم ومعرفة ... يُريك من فضله ما يبهر الحدقا
كالعالم العامل الشهم الذي اشتهرت ... اخلاقه وشذاها في الورى عبقا

١٨٨٥

ومن قوله في حادثة :

يا ساعياً بالغدر بين الاهل والاخوان مهلا
سترى مغبَّة ما سعيت وليس للانسان الّا ...

البُسَّة والمرآة

مترجمة عن فلوريان

ايها العالِم يا من يُنفقُ — العمرَ في تفسير ما ليس يُفسَّرْ
قف قليلًا واستمع عن بُسَّةٍ — قصَّةً تدهش من فيها تبصَّرْ
رأت المرآة يوماً فأتتْ — نحوَها تنظر من فيها تصوَّرْ
حسبَتْ ان الذي لاح لها — غيرُها فاستنكرت ما ليس يُنكَرْ
وعليـه وثبتْ ، فاصطدمت — صدمة كاد بها اللوحُ يُكسَّرْ
فانثنت تطلبه من خلفها[1] — لم تجد شيئاً ، فآبت تتفكَّرْ
كيف تأتيه فلا يُفلت من — يدها ، أو يختفي حيناً ويظهرْ
فامتطت مرآتها ثم استوت — فوقها كمَن علا صهوةَ اشقرْ
وانحنت شيئاً فشيئاً لترى — فرأت في البدء أذناً ، ثم اكثرْ
ثم ... لكن غدر الثقل بها — فرماها ، ولها الحظ تنكَّرْ
فهوت للأرض ثم انسحبتْ — وبفيها حكمةٌ للدهر تُذكَرْ
كل ما نسعى الى تفسيره — وهو عنا غامضٌ غيرُ مُفسَّرْ
ليس في العيش ضرورياً لنا — فلندَعْه فالضروريات اجدرْ

١٨٨٦

(١) اي المرآة.

من مرثية لاحمد الصلح

وطلب منه وهو في المدرسة رثاء احمد باشا الصلح[1] فقال من قصيدة. (وقد حاول فيها الخروج على التقاليد في الرثاء من ذم الدهر وغير ذلك):

أيدري لباب المجد من اي سيّد عفا ربعه لما سرى نعيُ احمدِ
وهل يعلم القطرُ المصابُ بفقده بأيّ رداء اهله اليوم ترتدي
بني العصر هذي وحشةُ الموت فانظروا اذا كان فيها غير طرف مُسهّدِ
وذي شجراتُ المجد هل من مُرفرفٍ على شجرات المجد أو من مُغرّدِ
فقدنا إماماً كان في الناس ذكره يسير مع الركبان من كل منشدِ
سلوا بعده من كان يعشو لضوئه اذا عاد في ليل الشدائد يهتدي

(البقية مفقودة) ١٨٨٨

وقال بعد مرض قصير أقعده عن الدرس اياماً:

ان العقول وإن سما إدراكها إن أُهمل استعمالها لا تنفعُ
كالسيف يقطع ما اجدت صِقاله فاذا نبذت صِقاله لا يقطع

---

(١) هو جد رياض بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية اليوم والذى كلفه بالقصيدة هو المحامي الشاعر الياس جرجس طراد احد وكلاء المدرسة.

التقوى

(شعر منثور)

قيلت في احدى الحفلات الخطابية الاسبوعية لصف المنتهين

السلام عليك ايتها الحسناء الزاهية ، المتهادية في مطارف الجلال ، المتوجة باكليل الكمال .

الظاهرة لا من القصور ، البارزة لا من الخدور

المقبلة نحونا لا كالمهى ، الطالعة علينا لا كالسُهى

ما أجمل محيّاكِ واطيب ريّاكِ والطف حميّاكِ .

تدب في الارواحِ دبيب الارواح ،فخشوع في الابصار ، وخضوع في الافكار ، وتأسٍ على الأسى ، وعزاءٌ على العذاب ، وشفاء للعليل السقيم ، وسمير من يبيت في ليلة سليم[1]

حياكِ الله ما اقوى سلطانك على القلوب ، واسعده لضحايا الاثام والذنوب وابعده عن العيوب ، وأقربه من تبوئة ذويه النعيم.

(١) السليم اللديغ يمنع الألم عنه النوم .

خطيب الفضيلة   وعروس النعمة

روح المعرفـة   ورأس الحكمة

كمال شرف الخُلق   وغاية امر الله في الخَلق

حياكِ الله ما احلاكِ في النفوس ، وحياً الله روحكِ القدوس ، وحياً الله وجهك الكريم .

اي سادتي لا حاجة للبيان وقد حصحص الحق للعيان ، فلتطأطىء الرؤوس ثاني ثان ، تلكم هي التقوى وهذا هو الايمان .

فابنوا على الحق آمالكم واقضوا بالحق اعمالكم ولباس التقوى ذلك خير لكم .

١٨٩٠

من رسالة الى صديقه المرحوم يوسف زيدان شقيق صاحب الهلال :

يا رسولي الى حِمى مصر بلّغ   عن فؤادي تحية المشتاق
بكتاب ضمنته نار شوقي   فتعجب للنار في الاوراقِ
سال فيه على سطور الهوى ما   سال فيه من مدمعي المهراقِ
لستُ أنسى يوماً تطأمنت   الاعناق فيه للبين بعد العناقِ
يا رفيقي النائي المودع مهلاً   لا تطيق النوى قلوب الرفاقِ
غبتَ عنا وانت فينا مقيم   غائب الشخص حاضر الاخلاقِ
سبقتنا الاقدار فاخترت بعداً   مع ان القلوب جُردُ سِباقِ
وغدا « البرق » بيننا ترجماناً   علّ ان نجتلي بروق التلاقي
فاذا ما لبثت والود باقٍ   كلنا هَهنا على العهد باقِ

١٨٨٨

ومن قوله :

بابي ذات جفاً عاتبتها   فاجابت ليس مثلي في الملالْ
قلتُ تعذيبي مرٌّ وحرا   مٌ فقالت انما عندي حلالْ

كان الناظم قبل ان يفكر بدرس الطب يميل الى الصحافة فبعث وهو دون السادسة عشرة من العمر ؛ الى المرحوم بشاره تقلا صاحب الاهرام رواية شعرية عنوانها طابخ السم آكله مع بعض قصائد ومقالات حبّرها لذلك العهد وصدر المجموعة بهذين البيتين :

مولاي هذي نبذةٌ اودعتُها من آنسات الفكر بعض خواطرِ
ولذا بعثت بها اليك تفاؤلًا حتى اذا قبلت بعثت بسائري

ثم بقصيدة في مدح جريدة الاهرام قال فيها :

لا تذهبن الى القنوط تزهّدًا ما دام يُسعدك الزمانُ لتسعدا
اولست تذكر آية لك أُنزلت يا ايها الانسان لم تخلق سُدى
هذي حياتك فاغتنم لذاتها قبل الفواتِ بما تراه ارشدا
إن تكتنفك من الوجود خلائق فلقد جُعلت على الخلائق سيدا
ولئن تُنازعك البقاء فانت اقدرها منازعة واطولها يدا

ومنها :

العلم عاد لمهده فتيمنوا إذ كان عود العلم عودًا احمدا
وعزيمة القدماء فينا جُددت ودم الفنيقيين فينا جددا
أفما تعي اذانكم صوت العصور الآتيات بنا يرددها الصدى

هبوا فوجه الشرق رُدَّ بهاؤه   وتسابقوا فسبيلكم قد عُبّدا
ولقد رأينا من نوابغ قومنـا   فضلًا به جيد المعارف قلدا
بجريدة قد صححت بثمارها   ما كان من مقل البصائر ارمدا
يا موجد الاهرام من قدمٍ أفق   وانظر لهذا العصر ماذا اوجدا
هاتيك ضُمّنتِ الجسومَ وهذه   لبُّ العقول وفكرَ ارباب الهدى

ثم بقصيدة في تهنئة صاحب الاهرام بزفافه طلبت منه وهو على مقاعد الدرس مع تاريخ شعري هذا هو[1]

بشارة قد جنحت لخير ذات   حوت مع فضلها كل الطهارة
«بيتسي» قد ظفرت وليس بدع   فانت مثيلها سمة وبشارة
فقل ما راق ذا التاريخ وجهاً   لقد نلتِ المرادَ لكِ البشارة

١٥ ١٣٤ ٤٨٠ ٢٧٦ ٥٠ ٩٣٤

١٨٨٩

وقد تلطف يومئذ صاحب الاهرام فاجاب الشاعر الفتى على كتابه وقد ظن انه يريد طبعه ولكن الشاعر شرح له قصده وامله بالانخراط في سلك محرري الاهرام فجاء الجواب اعتذارًا واسفاً لانه كان قد ارتبط مع ثلاثة محررين جدد هم خليل مطران وخليل زيدان ونجيب الجاويش ولم يبق محل لرابع وهكذا كانت الخيبة الاولى في حياة الشاعر

(١) كلفه بها ايضاً المحامي الياس طراد .

الدارعة فكتوريا

من نحو ستين سنة جاء الاسطول البريطاني البحر المتوسط ومرّ بمياه بيروت وطرابلس وهناك اثناء تمرينات بحرية اصيبت فكتوريا بضربة قاضية من احدى مدرعات الاسطول فغرقت وغرق معها من الشبان نحو مئتين وخمسين وكلهم من خيار الأسر وصفوة الانكليز كانوا يتعلمون فيها ويتدربون فاهتز العالم للفاجعة ونظم الشاعر الشاب هذه القصيدة وقد اثبتناها برمتها لفائدتها التاريخية

اذ الغرب في الشرق

في رثاء الدارعة فكتوريا ورجالها مقدمة الى جلالة ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

الانكليز اليومَ في حسراتها	سكرى تصعّدُ بالأسى زفراتها
أعلمت اية نكبـة رزئت بها	من عاديات الدهر في غاراتها ؟
قف بي فديتك لحظة متأملا	في حـادث اودى بخير كُماتها
بعثت باسطولٍ لها لسياحة	في البحر ، ساعية الى حاجاتهـا
فأتى ، وبين صفوفه فكتوريـا	لا تلحق الابصار مرتفعاتها
بمدرعـات كالجبال مناعة	تجري نظير الأسدِ في فلواتها
وصلت الى بيروت في تطوافها	فرست بهـا حيناً على ضفاتها

واتت طرابلس الشآم وما درت ... ان القضاء يحوم في فسحاتها
وقفت بعرض البحر كي تجري منا ... ورة به جرياً على عاداتها
وهناك قد ساق القضا فكتوريا ... لتضمها الامواه في لجاتها
صُدمتْ بكمبردون فانشقت وقد ... جرت المياه تغور في غرفاتها
فتخوّف الاقوام عقبى امرها ... وبغوا خلاص النفس من آفاتها
اما رئيسهم الامير فلم يُبح ... لهم الفرار مؤملًا بنجاتها
لكن مياه البحر خانته فقد ... دخلت اليها عطّلت آلاتها
إذ ذاك بادر بعض من فيها الى ... خوض المياه ليدركوا جاراتها
وسواهم ممن بقوا في جوفها ... طلبتهم الامواه من شرفاتها
اما الاميرال النبيل فانه ... لم يرضَ عيشته على علّاتها
فاختار ان يتجرع الكأس التي ... بخطاه جرّعها اعز ذواتها
واقام ينتظر المنية مُطرقاً ... في الارض ليس يخاف تهديداتها
حتى هوت فيه السفينة واختفت ... من لجة الابحار في ظلماتها
والقوم فوق البر ينتظرونها ... ظناً بها غاصت بتمريناتها
والناس في باقي البوارج خلتها ... من هول ذاك الخطب في سكراتها

* * *

ثبتت على الامواج بضع دقائق ... عجباً فاين محدثي بثباتها

من صدمة قد عُطلت وهي التي كانت تخاف الارض من صدماتها
لهفي على تلك المعالم كيف قد سمحت صروف زمانها بشتاتها
هي في اروبا قوة البحر التي لمصابها شمل الاسى قواتها
فلتخفض الرايات كل سفينة في البحر ترفع بعدها راياتها
ولتحفظ الذكرى لها اخواتها ما وجهت لبلادنا خطواتها

* * *

يا زائر مينا طرابلس التفت وانظر هناك الى بعيد جهاتها
واقطع من الأميال فيها خمسة نحو الشمال وقف بُعَيد فواتها
فهناك تحت مياهها ڤكتوريا غرقت الى السبعين من قاماتها
تركت بلاد الغرب مشرق وجهها واتت فكان الشرق مغرب ذاتها
غرقت ببحر الروم من كانت تخوض الاوقيانوسات في غزواتها
ذهبت وما أبقت لها اثرًا فوا عجباه اين جميع محمولاتها
اين المدافع مرعدات في الفضا إن امطرت فوق العدى بكراتها
بل اين ما فيها من الآلات إن هي أنفذت في البحر حرّاقاتها
بل اين من فيها من الاساد ان وثبت تهز الارض في وثباتها
بل اين من فيها من الاشبال قد قصفت غصوناً في ربيع حياتها
تركت بلاد شبابها ما ودعت اخوانها فيها ولا أخواتها

* * *

اليوم امست انكلترا وقد   شمل الاسى اطراف معموراتها
اليوم فوق شطوطها تلقى من   السكان من عدتهم بمثاتها
ولد يشوق الى ابيه ووالد   يبكي ابنه المدفون في طبقاتها
وهناك غادات تنوح صبابة   مزجت مياه البحر من عبراتها
أمٌ تذوب على ابنها وليأسها   ملّت من الدنيا ومن لذاتها
وحبيبةٌ موعودة بلقاء من   تهوى ولكن لم تنل غاياتها

* * *

يا قطرَ لندن انت منتظرٌ اذًا   فكتوريا لتعود من سفراتها
خبِّر بنيك وساكنيك بانه   قد غيرت فكتوريا عاداتها
نسيت بنيها في الحمى ومعاهد   الارام والغزلان عند بناتها
يا قوم هل رأت الممالك ام روى   التاريخ خطباً مثل ذا لرواتها
جزعت بلاد الانكليز لفقدها   جزعاً يخلد في الورى لهفاتها
خسرت بها ركنًا لها في بحرها   في جندها في شعبها وسراتها
في رأس من ولي البحارة ، عندها   واميرها الممتاز في ساحاتها
ماذا يصيب تُرى قَرينته التي   قد اوحشتها الدار من مشكاتها
بل كيف حال مليكة لم يندرج   ذا الخطب يوماً بين محذوراتها
يا صبرُ ، فافخر ان ترافق قلبها   فسواك موقفه على عتباتها

عرفت ملوك العصر عظم مصابها ولذاك عزّتها على نكباتها
وجلالة السلطان في ذا الخطب قد جادت بما اعتادته من حسناتها
لما اتاها نعيُ من صرعوا به وهبت لها ارضاً لضم رُفاتها
ولتلك مأثرة تؤيد انهـا وقفت لخير قريبهـا نيأتها

* * *

هذي حكاية حالها حررتها بيد الأسى دُفعت بتأثيراتها
شرقية عربيـة نزعت الى غرب البلاد تبثـه خطراتها
لم تقتنع فيما اتت لو لم يكن قد بخر الزفرات حبر دواتها
هي انة الغرب التي في الشرق قد رنت فحدث عن صدى رناتها
عزّى الاله الانكليز ولا سلت صبراً فان الصبر بعض صفاتها
ولها عن المفقود بالموجود من ابطالها عوض ومن ساداتها

١٨٩١

وقال بعد خروجه من المدرسة من قصيدة يرثي بها الياس صالح صاحب قصيدة الحرية الادبية التي انشدها في الكلية (الجامعة الاميركية اليوم) وكان لها وقع عظيم ثم سافر الى مصر للاشتراك في تحرير المقطم فلم يمهله القضاء لاظهار مواهبه الادبية والشعرية

أروّعك الطير المغرّد في الفجر فقمتَ كئيب النفس منقبض الصدرِ

* * *

اسيرُ على العشب المرطّب بالندى فلا أقلق النوّام في ذلك القفرِ
وآوي الى ظل المدافن عندما تُطلّ عليّ الشمسُ موقظة فكري
أخاطب بالتذكار قوماً تقدموا وما أبقت الايّامُ منهم سوى الذكرِ
وأذهب بالنجوى اليهم محدثاً بشكواي اهل القبر يا جيرة القبرِ
اذا ما بدا للعين مثوى ابن صالح وقفت لديه خاشع الطرف والفكرِ
وأطلقت دمعي حوله ساقياً به ربيعاً نضيراً من خلائقه الغرِ

* * *

وبعدك يا الياس لم نلق صالحاً لنظم عقود السحر سطراً الى سطرِ
تمثلت في ذهني فأنطقتني بما يراه الوفا فرضاً على الصاحب الحرّ
فبلّغ سلامي معشراً قد بكيتهم وما زال دمعي كلما ذكروا يجري
ونم في ظلال الأمن والراحة التي تفوز بها الموتى الى آخر الدهرِ
هناك ضياء الفجر اصفى اشعة هناك نسيم الليل الطف إذ يسري

١٨٩٣

رثاء سليم جدي

كان سليم جدي شاعراً مطبوعاً اخذه الموت من بين ذويه وهو في إبان شبابه ومطلع شهرته وقد رثى الدارعة ڤكتوريا ايضاً بقصيدة عامرة وله قصائد عديدة غيرها فنظم صاحب الديوان في رثائه قصيدة نذكر منها ما علق بالذاكرة

لا تجفلي يا حمام الأيك من دنف　　قد بات من غدرات الدهر جفلانا

ولا يروّعك ان ناح العشيَّ فتى　　نواحه علم الاطيار الحانا

يبكي لالفٍ سقاه الود ثم قضى　　كأنه وكأن الود ما كانا

* * *

وما سليم لِيُنسى حزنه ابداً　　فطال ما أنسه الاحزان ، أنسانا

وان بكيناه بالشعر الرقيق فكم　　من مرة برقيق الشعر ابكانا

سازرع البان اغصاناً بتربته　　لانه كان غصناً يشبه البانا

وذا رثائي اذا اوجزته فكفى　　ان كان من مدمع الآماق ريانا

وما انا يا بني امي بمنتظر　　غير الشقاء فهذي حال دنيانا

قد اعجزتني الليالي فارحموا عجزي　　والله يرحم موتاكم وموتانا

وقتل قسطا باولي غدراً في ليلة خسف قمرها فكتب تحت رسمه .

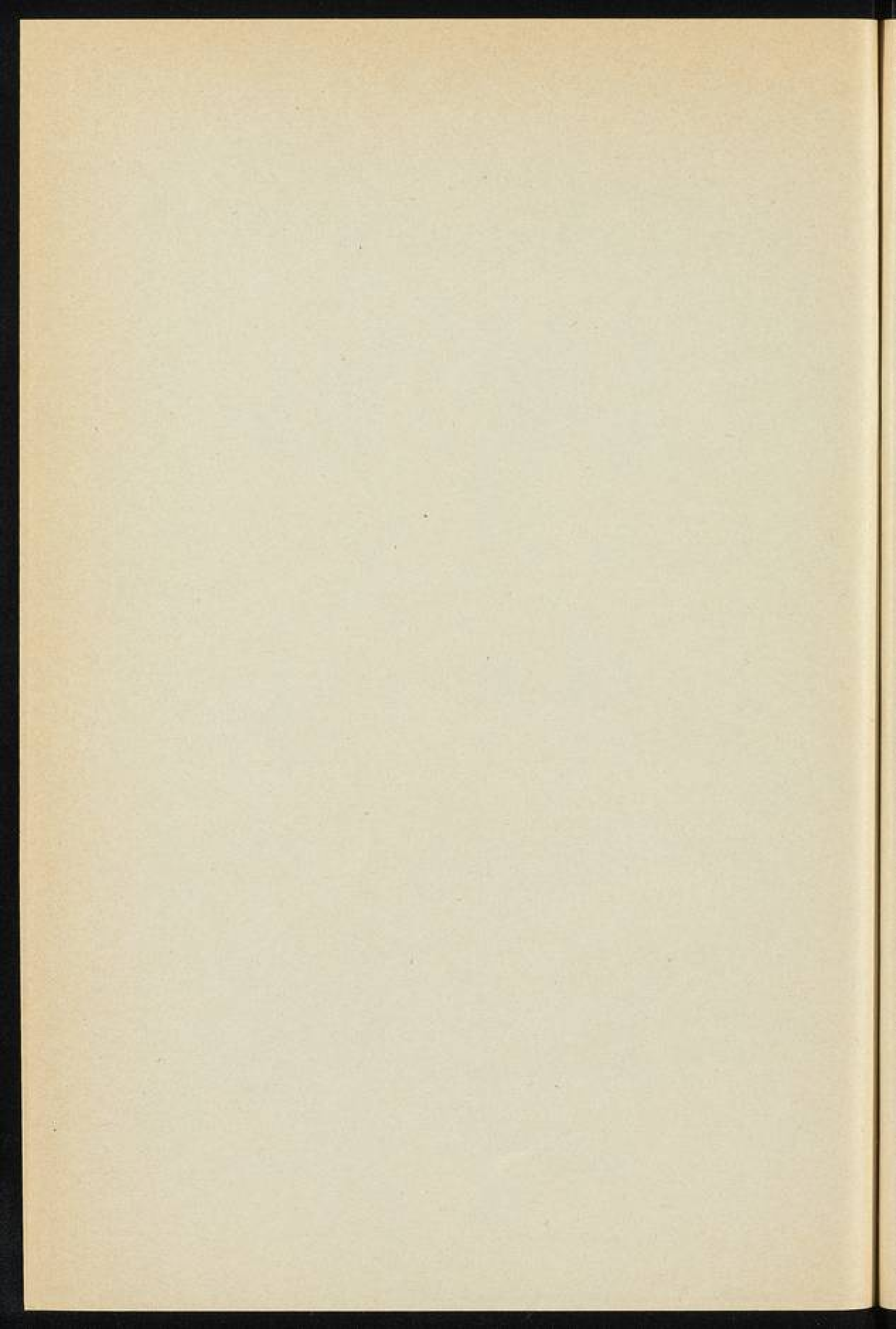
قتلوه في ليل توارى بدره حزناً على قمر الثرى المتواري
فكأنه علم الفظيعة قبل ان تجرى فحجَّب وجهه بستارِ

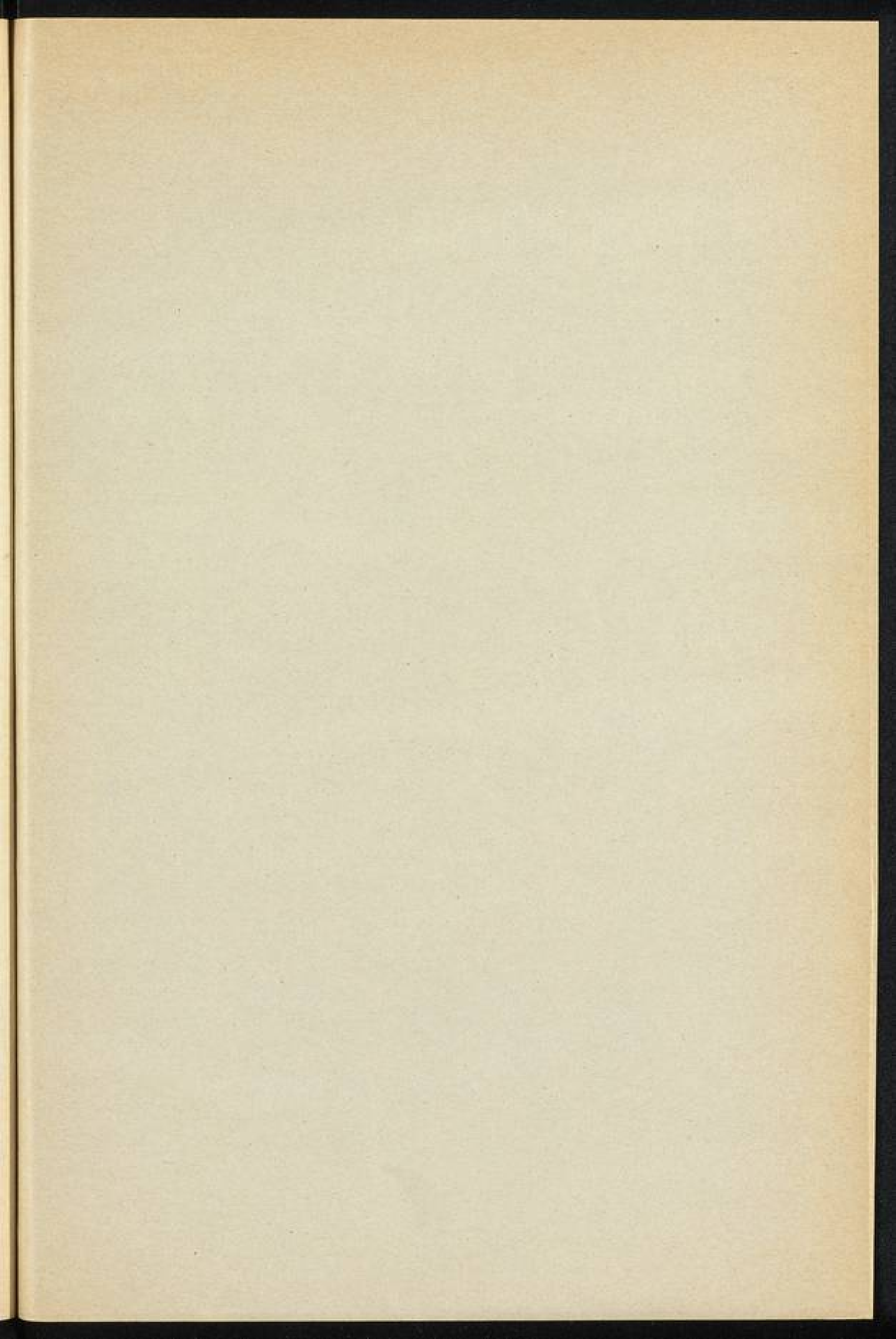
١٨٩٥

وكان المرحوم نخله بسترس قد ركب الباخرة « سهام » ليلحق بوالي بيروت في عرض البحر ويودعه فحدث انفجار في الباخرة غرق فيها من غرق واعيد المرحوم جثة مشوهة بالنار . والظاهر انه كان بالقرب من مرجل الباخرة ساعة انفجاره فلم تمكنه النار من السباحة وهو يجيدها فمات حَرَقاً وغرقاً فكتب تحت رسمه :

هذا الذي كان مثل النار همته وخلقه الماء في لطف وإعطاء
اصابه من « سهام » الدهر غائلة فراح فيها شهيد النار والماء

تفضل بعض الادباء بتقاريظ شعرية لهذا الديوان ولا نعلم كيف ضاعت بين الاوراق فنعتذر اليهم آسفين شاكرين .



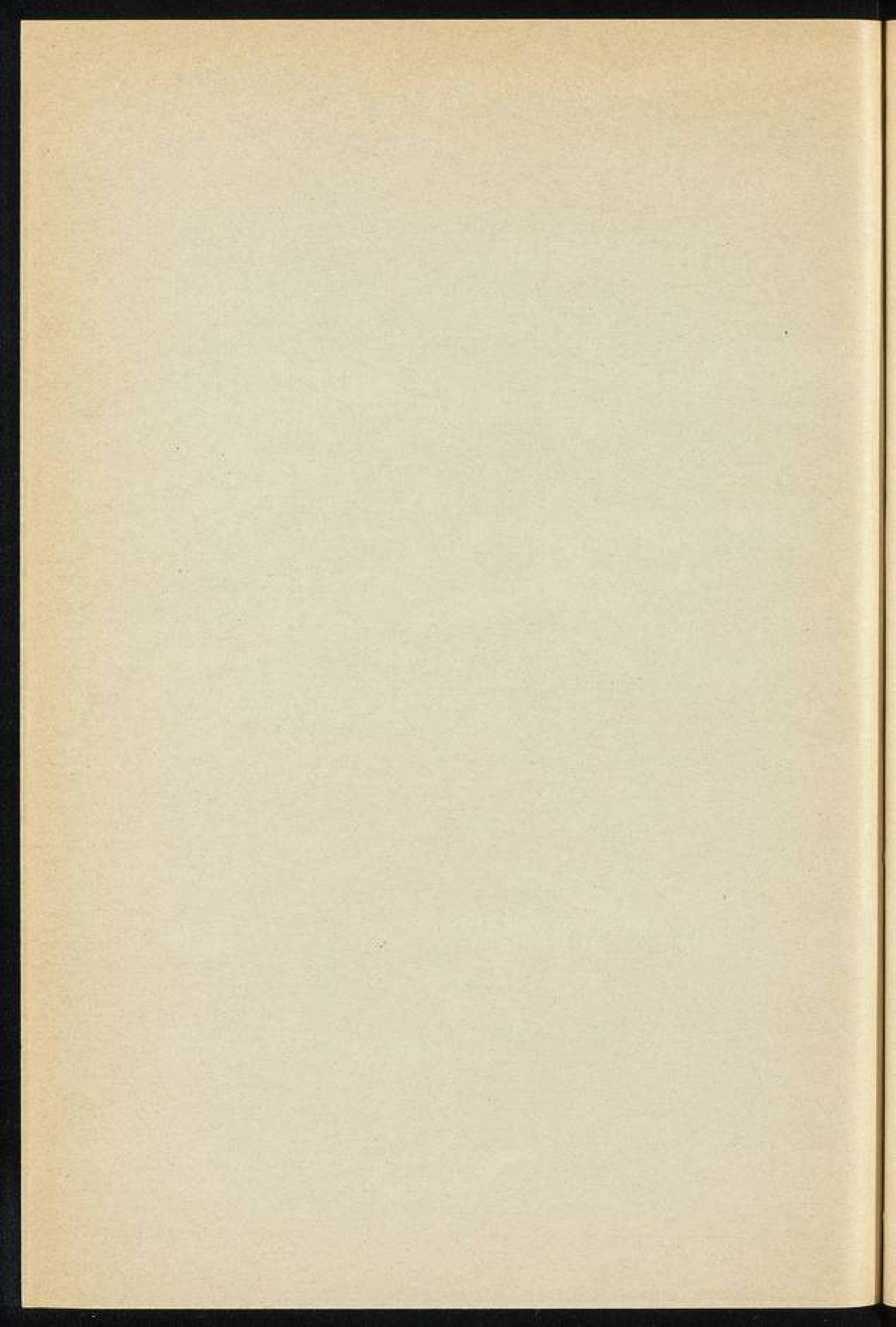


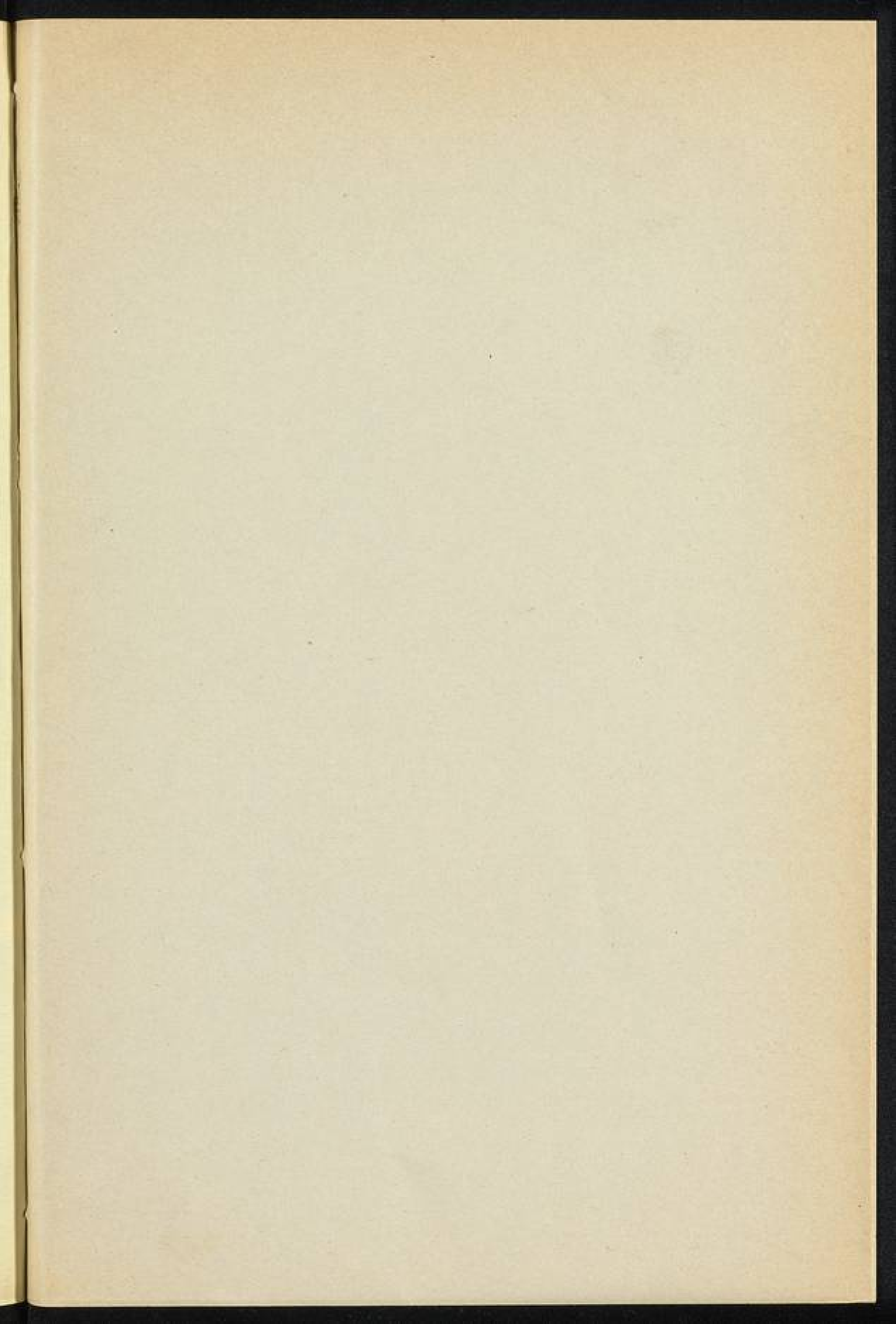
فهرست

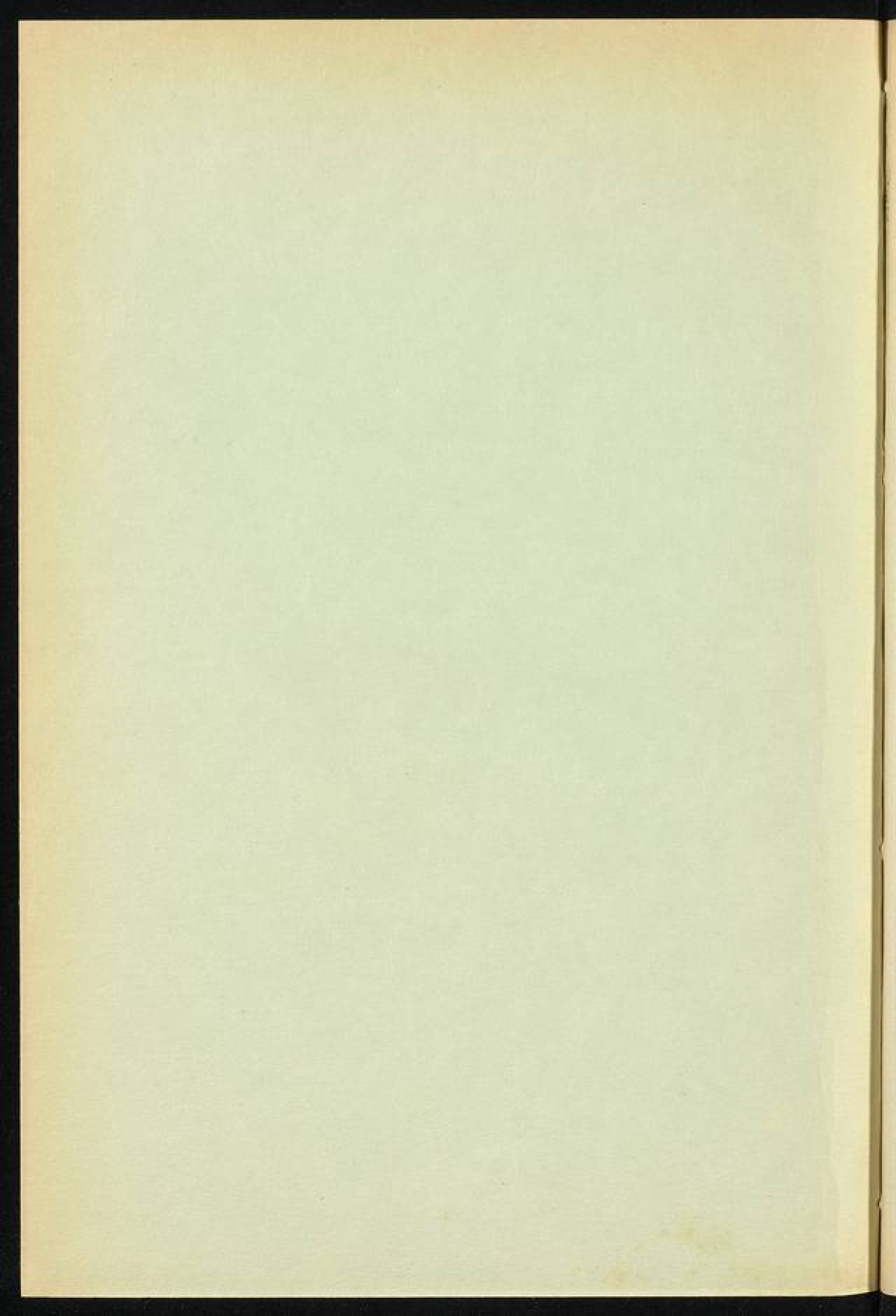
اصلاح خطأ

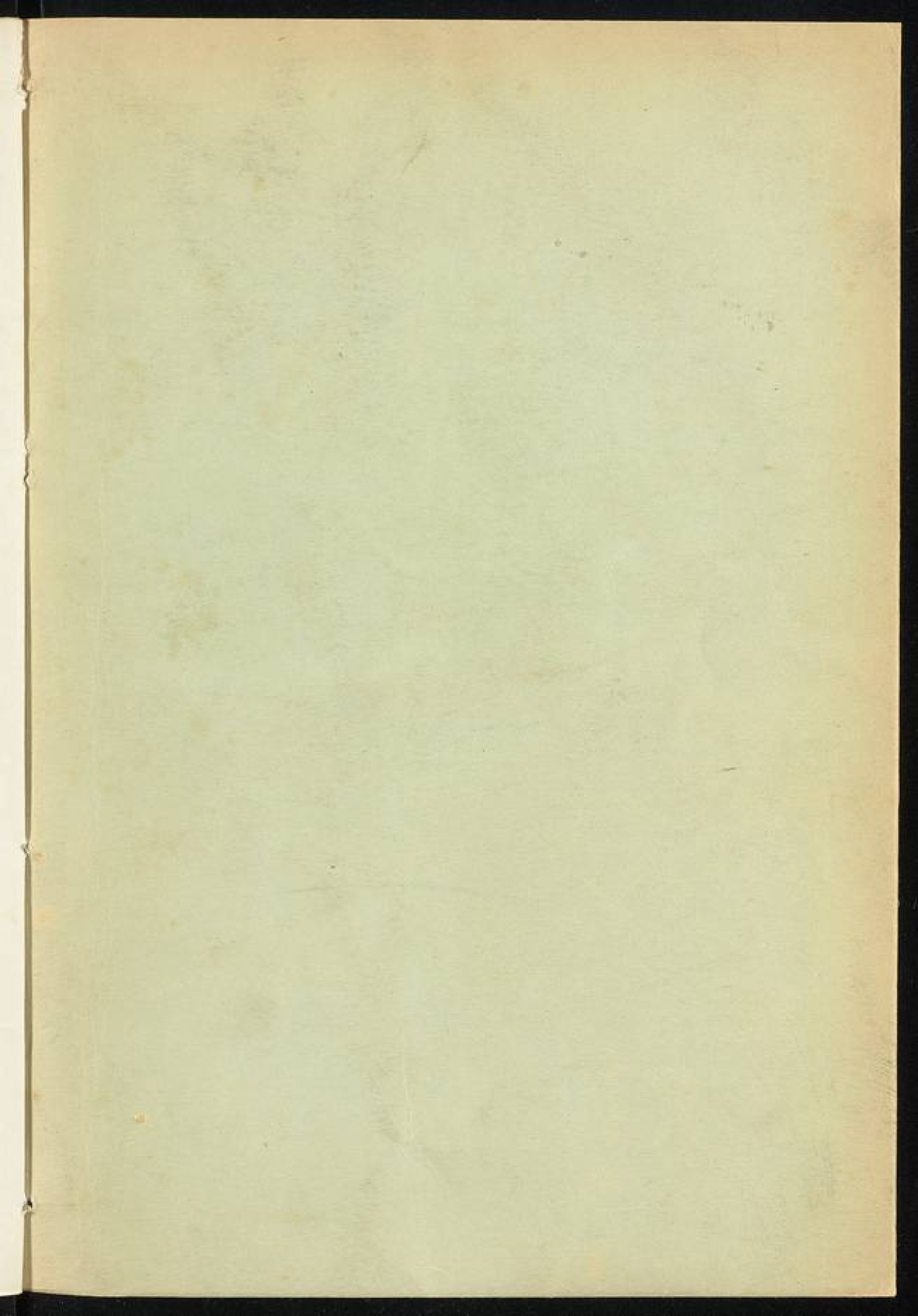
صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	١٠	اتخذت	تخذت
٣٠	٦	وهما	وهي
٣٦	في العنوان	لمبين	لبين
٣١	١٢	لخالد	خالد
٣٣	١٠	بقبضها	بقبضتها
٨٨	السطر الاخير	وشعارَ	وشعارُ
٨٩	١	اهديتني	أهديت لي
٩٣	٨	شاعراً	شاعرٌ
١٠٣	٣	أوامي	أُوامي
١٠٩	٢	وحي	دُجى
١١٣	١١	روعوده	رعوده
١١٧	١	النورُ	النورَ
١٤٣	٦	حماها	حماها
١٤٣	١١	حدّيك	جدّيك
١٥٦	١٣	كمُعلمِ	كمَعلمِ
١٦٩	٢	البيضاء	الضياء
١٧٦	٧	الجمع	والجمع

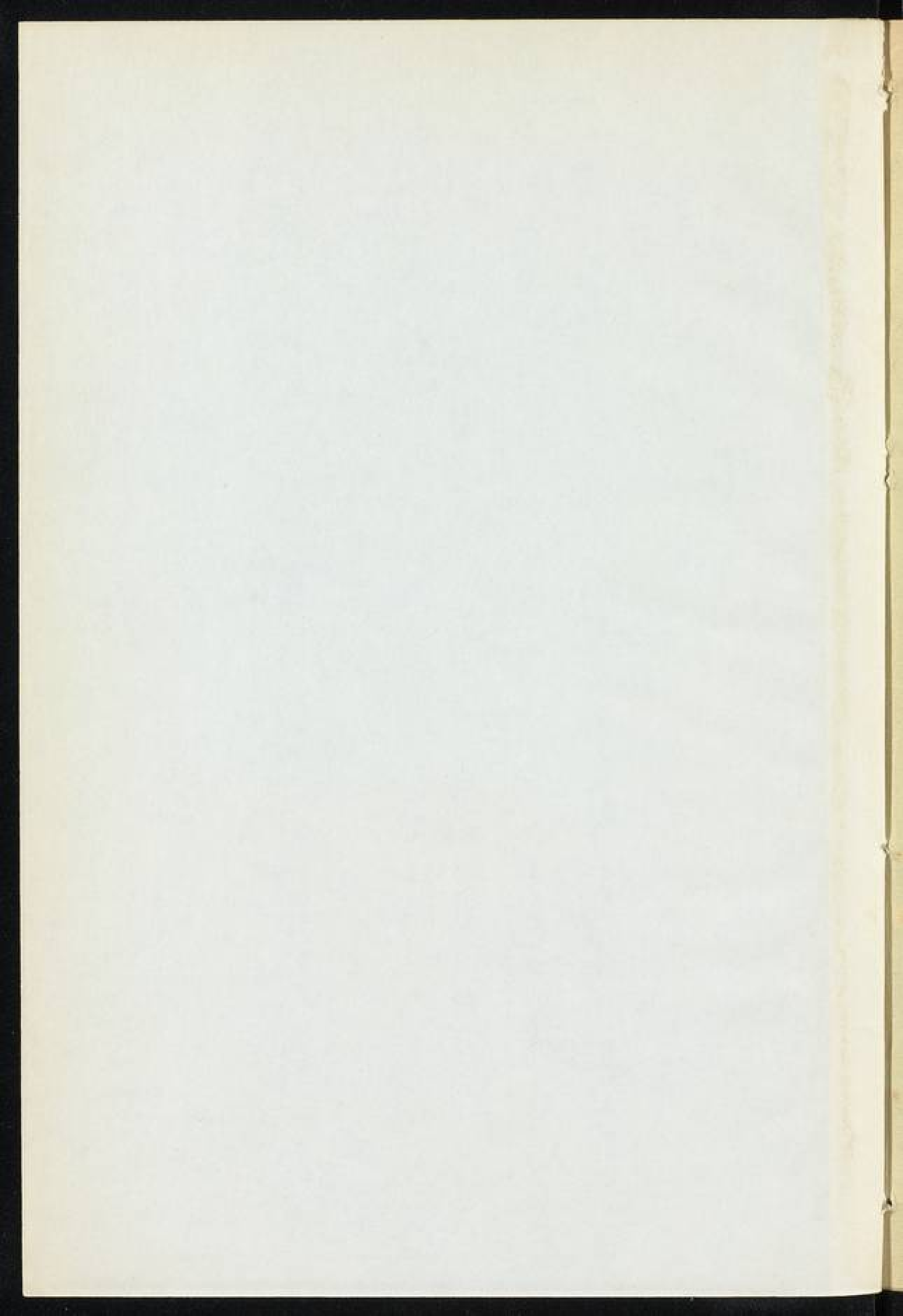
تمّ طبع هــذا الكتاب في
المطبعة الكاثوليكية بيروت ،
في الثامن والعشرين من شهر
كانون الاول سنة ١٩٥٠

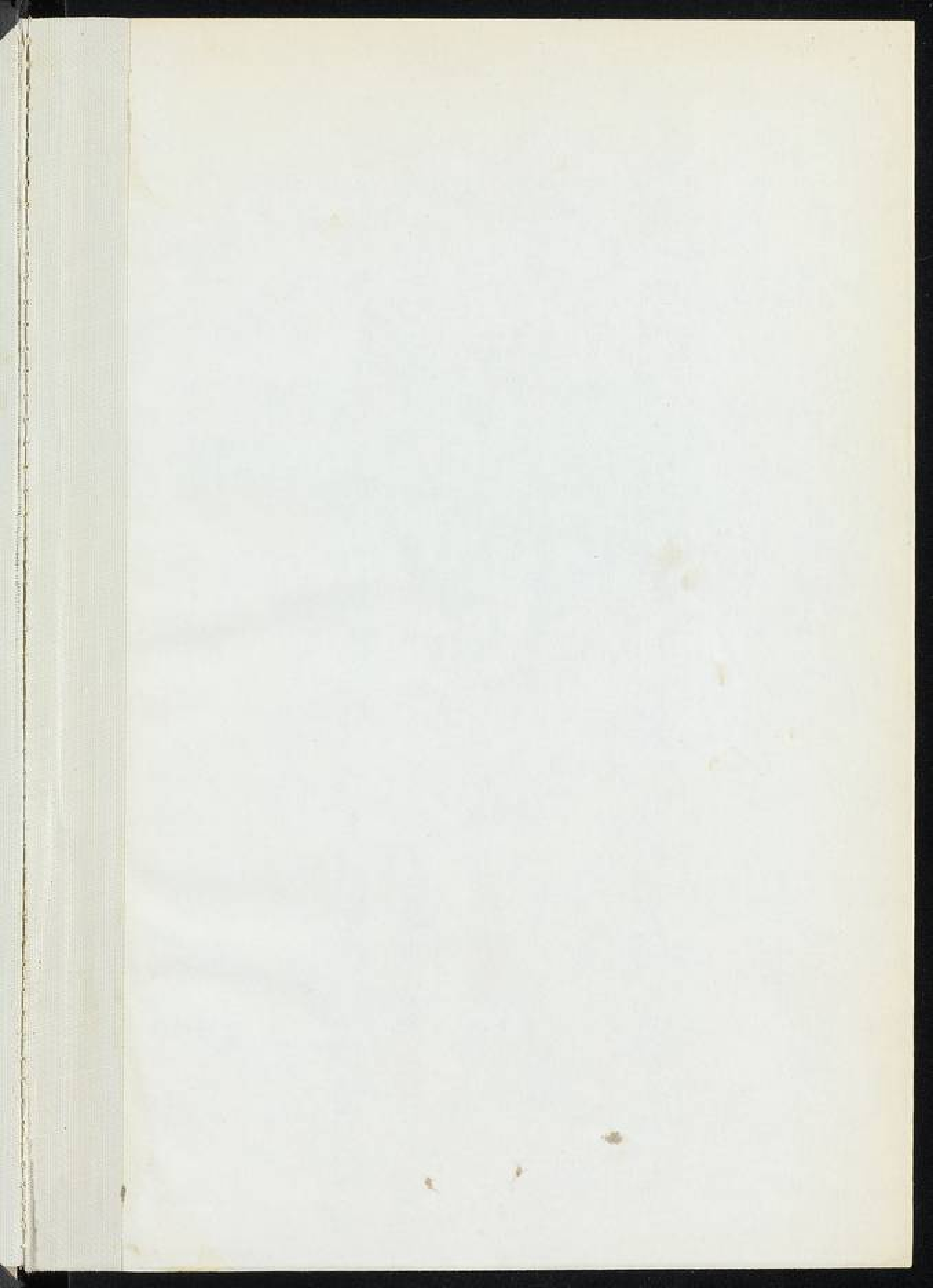













Princeton University Library
32101 073552521